كتاب الجمهورية

حوارى ..
لها تاريخ

نجوان محرم

إهـــداء

إلى من علمتنى كيف أحب الحرف .. وأحترم الكلمة ..
إلى أمى ..
وإلى يحيى السعيد ..
زوجى وصديقى .. وأستاذى فى الحياة

المقـــدمة

الزمان : عام ١٩٧٩ ...
والمكان : قاهرة المعز ..
سيدة المدائن .. وقاهرة الزمان ..

والقلب يخفق مع كل خطوة على أرض الحوارى العتيقة التى شهدت أمجادا .. وعاشت أزمانا مليئة بالعز والعزوة ... وعلى أرضها دارت معارك وسقط ثوار ... وتنفست كرامة وعشقا لمصر المحروسة ... وقهرت طغاة ... وغزاة .. ومعتدين ... وعاشت فى وجدان الزمان ألف عام ويزيد ..

قاهرة ... قادرة ... غالبة .. فلا نامت أعين الجبناء ...!!

* * *

وجهتى كانت الحوارى القديمة فى قاهرة المعز ...

أى القاهرة الحقيقية ... قاهرة الناس البسطاء الطيبين ...

وفى هذه الحوارى الصغيرة الحجم ... الكبيرة المعنى عشت شهورا طويلة ... وخرجت منها وقد تعمقت مصريتى أكثر ... ولمست تماما معنى كلمة مصر ...

فى أعماق هذه الحوارى تحيا مصر الحقيقية ويحيا المصرى الأصيل ..

المصرى الذى لم تتغير صفاته منذ ألاف السنين ...

المصرى الذى يحمل صفات الطيبة .. والبساطة .. والجدعنة .. وعشق العمل .. والتكافل .. والرحمة .. وعزة النفس الرائعة التى يعمقها إتقانه لحرفته اليدوية التى توارثها فى حارته البسيطة منذ ما يزيد عن الألف عام ..

كبرياء العمل .. وليس كبرياء المال ... الفرحة الحقيقية لكل ما يصيب الآخرين من خير ...

حتى المعارك الصغيرة داخل هذه الحوارى وما أبسط أسبابها عادة ... ما أسرع ما تنتهى بالقبلات والأحضان وتقبيل الرؤوس .. « وإخزاء » الشيطان الذى هو عادة فى كل خناقه تنتهى الآراء إلى أنه السبب الأكيد وهو وحده المدان .. أما هم أهل الحارة فأناس طيبون ليس للغل أو الحقد فى قلوبهم مكان ..

محدودية الرزق خلقت فيما بينهم نوعا من التعاون والخوف على بعضهم البعض والتوحد ضد ما يمكن أن يكون من غدر الزمان ... والرزق فى النهاية نصيب مقسوم ...

فى الحارة قد يتجاور اثنان يمتهنان نفس الحرفة أو يبيعان نفس الأشياء .. والرضا يلقىْ بظله على الجميع . هذا كسب الكثير .. وهذا رضى بالقليل ففى النهاية هو شأن الله مقسم الأرزاق ..

ولقد مر على كتابة هذه التحقيقات وعددها ٤٢ تحقيقا صحفيا فى ٤٢ حارة قاهرية عشر سنوات .. تغير ولا شك بعض ما جاء بها من وقائع وأحداث لكن الجوهر فى الحارة مازال هو ... هو بعد عشر سنوات .. بل إن معظم الحوارى التى كتبت عنها مازالت تحتفظ بنفس الإسم القديم منذ ما يزيد على الألف عام ..

* * *

فى هذه الحوارى رأيت كنوز مصر الحقيقية .. وعزها القديم واستنشقت عطر الزمان .. السعيد والماضى الجميل ...

فى هذه الحوارى أصابع « تتلف » فى حرير تمارس حرفا يدوية تبهر السياح ...

فى الحارة يصنعون أشياء لا تستطيع أى آلة صنعها بهذا الفن والإتقان ... ومازالوا هم فى حواريهم التى عمرها من عمر القاهرة المعزية يبهرون بها العالم ويديرون بها الرؤوس ... واسألوا من يأتون من أبعد البلاد ليبهروا بالدق والنقش على النحاس .. ونقش الذهب ... وتلوين القماش .. وزخرفة الخيام .. وتطريز القصب .. وترصيع الفصوص ... وفى الحوارى هم بعد ذلك كله متواضعون لا يشعرون أنهم يصنعون عجبا ...

وفى الحارة التدين الفطرى العميق ... هم يتنفسون الدين فى كل ثوانى حياتهم ... وهم يذوبون عشقا فى حب النبى وآل بيته الكرام .. هم يديرون قرآن الصبح عند الاستفتاح فى كل دكاكين الحارة ويستمعون إليه فى شغف شديد ...

ثم هم يستعملون فى كلامهم مصطلحات .. ما أرقها وأعذبها حين يستحلفونك إلا فعلت هذا وحياة أبو فاطمة أو صلى ع اللى حايشفع فيك ... وغلاوة الحبيب المصطفى إلا فعلت كذا ... وكيت ...

* * *

ولا أستطيع فى النهاية إلا أن أشكر هؤلاء الناس ساكنى الحوارى العتيقة فى قاهرة المعز ... فلقد فتحوا لى قلوبهم ... وفتحوا لى عيونى على أجمل مافى بلدى .. الناس الطيبين ...

ولقد خرجت من هذه الحوارى بهذه الموضوعات منذ عشر سنوات كاملة ... لكنهم وبصدق شديد دخلوا جميعا قلبى ... ولم يخرجوا منه حتى الآن ..

نجوان محرم

القاهرة أغسطس ١٩٨٩

زقــــاق المـــــدق



زقاق المدق بعد ٣٠ سنة .

ماذا بقى من زقاق نجيب محفوظ .

حميدة وعباس الحلو .. والدكتور البوشي .. وزيطة صانع العاهات .. والمعلم كرشة صاحب القهوة .. وعم كامل صانع البسبوسة السمينة .. والمعلمة حسنية وزوجها جعدة .. وست-سنية عفيفي مالكة المنزل القديم ..

أسماء كلها لمست بقوة خيال كل من قرأ رائعة نجيب محفوظ « زقاق المدق » فى الأربعينات ..

* * *

فى عام ١٩٤٧ كتب الكاتب الكبير يجسد مأساة الزقاق الصغير الذى مرت عليه الحرب العالمية الثانية فما أصابت فيه جدارا ولا دمرت منزلا . لكنها خلفت وراءها فى أعماق الزقاق جرحا نازفا على الدوام ..

خلق الكاتب الكبير من الزقاق الصغير فى قصته الرائعة صورة مصغرة لمصر وما جرته عليها الحرب العالمية الثانية من ويلات رغم أنها لم تكن طرفا فيها ومع ذلك فقد أثخنتها الجراح ..

ومرت الحرب على الزقاق فسلبته أحلى ما فيه .. حميده وعباس الحلو الحلاق ..

فأما حميدة فاتنة الزقاق فانحرفت تحت تأثير قواد تبيع جسدها للإنجليز .. وأما عباس الحلو فقد مات أيضا بيد سكارى الإنجليز وهو يحاول أن يسترد أمله الحلو .. أو حميدة النقية كما كانت عندما خلفها وراءه فى الزقاق قبل أن يذهب للعمل فى معسكرات الإنجليز ..

كان هذا هو زقاق نجيب محفوظ الذى ذاق ويلات الحرب فى الأربعينات وصوره فى روايته وقدمته شادية فى فيلم .. وفى هذا العام إكتمل من عمر القصة الرائعة ثلاثين عاما بالتمام فكيف الزقاق الآن ؟؟

من بقى من أبطال القصة فيه ومن مات ..؟

هل كانت هناك حقا حميدة وأمها ..؟؟ وعباس الحلو وعم كامل وزيطا .. وكرشه .. وكل هؤلاء الذين خلقهم بقلمه الساحر نجيب محفوظ ..؟؟.. من سكان الزقاق الآن .. هل تغيروا كثيرا عما كتبه الكاتب الكبير ..؟؟ وهل هم الذين كانوا حقيقة بالزقاق منذ سنوات ثلاثين ..؟؟..

* * *

على يمين القادم من ميدان سيدنا الحسين .. وعن يسار القادم من شارع الصاغة مخلفا وراءه جامع الأشرف وقبل أن ينتهى شارع الصناديقية فى جزءه المسقوف الظليل يقع الزقاق ..

إنه الوحيد فى الشارع كله الذى تظلل مدخله تكعيبة عنب كبيرة متشعبة الفروع .. إستقبلتنى فى مدخله رائحة قوية نفاذة هى العطارة كلها مجتمعة فى رائحة واحدة تلف الوافد على الزقاق ..

مدخل الزقاق مرصوف بالحجر الأسود اللامع الكبير .. وعلى اليسار فى مواجهة القهوة يقوم بيت عتيق .. يليه على نفس الجانب باب كبير مغلق أو أغلق لعدم الاستعمال وقيل أنه كان يشغله ترزى عربى فى زمن بعيد ..

ثم .. وكالة العطارة فى الزقاق لصاحبها الحاج عبدالرحمن زيد .. وراء الفرن تماما تقع الخرابة التى كانت فى القصة مقرا لزيطة صانع العاهات الذى كان يتخذ منها مأوى ومستشفى خاص يصنع فيها على هواه ما شاء من عاهات للشحاذين ..!!

على يسار « الخرابة » فى مواجهة الفرن بعض سلمات دكان صغير يشغله نقاش نحاس وفى أعلى الزقاق منزلان متهاويان كان المعلم كرشة فى الرواية يشغل أحدهما وفى الآخر كان يسكن السيد رضوان الحسينى الرجل التقى الذى ابتلاه الله بفقد الأولاد واحدا بعد الآخر فتعزى بالصبر الجميل ..

يسكن المنزلان الآن أم بدر صاحبة الثمانين عاما من العمر والستين عاما فى عشرة الزقاق وفى الآخر ام أحمد وأولادها الذين ورثوا الفرن عن أبيهم وجدتهم أم سالم التى تناظر حسنية الفرانة فى قصة نجيب محفوظ ..!!



مدخل الزقاق لكعبة الحب والقهوة المعروفة لكل عاشق للرواية المشهورة

خيط رفيع بين الحقيقة والخيال ..

من حيث الوصف لم يتغير شيء فى الزقاق عما وصفه فى قصته الاستاذ نجيب محفوظ .. التكعيبة مازالت والقهوة أيضاً .. والفرن .. والبيوت .. لكن الناس .. الناس فى الزقاق الحقيقى هم مطلبى الآن .. !!

* * *

إلى أسفل إذن ثانية .. إلى أول الزقاق بعد أن كنت قد صعدت إلى أعلى .. إلى نهايته .. والصبح مازال بعد فى ساعاته الأولى .. والقهوة المفتوحة الأبواب معتمة بعض الشيء .. وبالداخل عم عبده يرص الكراسى والمناضد ثم يعيد ترتيبها مرة أخرى وهو يغنى مقاطع مختلفة من أغنيات قديمة بصوت مشروخ والمنزل المقابل القديم ليس فيه غير نافذة واحدة مفتوحة يتدلى منها لحاف أحمر اللون من الستان إمتلأ بالبقع وبلى فى مواضع عديدة من كثرة الاستعمال ..

● الدق المتواصل فى الزقاق يطغى على ما عداه من أصوات .

عم عبده القهوجى فى الحلقة السادسة من العمر مازال يرص الكراسى من جديد ويمسح الموائد وحده دون مساعدة صبى « كان للمعلم كرشة فى الرواية صبى وحيد هو سنقر » ..

يتصعب عم عبدالنبى يوسف « عم عبده » فى أسى وهو يقول : بعد ٢٢ صبى فى القهوة كانوا بيخدموا على الزقاق والصاغة والصناديقية والخان لغاية ميدان سيدنا الحسين بقيت لوحدى من غير صبى واحد فى دى الزمان .. كله اتغير .. كله ..

فنجال القهوة اللى كان بتكلفة سنة ٣٨ بقى بسعة صاغ .. شايفة دى .. « أشار إلى كنكة نحاسية كبيرة الحجم كالإبريق معلقة فى ركن من الحائط بعيد » .. دى كانت تملأ ثلاثين فنجان « بيشه » صغير وكان الفنجان بمليم ..

● كان كل صبى يخرج بيها مليانة ساعة الصبحية يسقى الدكاكين ويرجع بتلاتين مليم .. الدنيا كان رخا .. والعيشة حلوة .. والبال مرتاح ..

● أبويا ساب لى القهوة دى ومات عن ١٠٤ سنة وكان بيسقى فى الشارع لآخر يوم فى عمره .. !!

استراح عم عبده تماما فى مقعده وهو ينطلق فى الحديث ..

- كان القهوجى بيسموه « باشا مخفى » لإنه بيكسب مكسب من غير رأسمال .. لكن دلوقت .. منين المكسب بيجى .. منين .. التموين كله أول عن آخر أربعين كيلو سكر فى الشهر باشترى قدهم من خارج التموين .. !!
- والبن اللى كان أول ما استلمت القهوة سنة ٣٨ بستة صاغ الرطل بقى بأربعة جنيه .. !! والسكر اللى كان بأربعة صاغ بقى بثلاثين .. !!
- صحيح الضرائب على القهوة مفيش لإنها قهوة صغيرة ومابتكسبش لكن وحياتك اللى جاى أقل من اللى رايح .. الزمن اتغير .. ومش ممكن يرجع من جديد ..
- القهوة دى عمرها ١٥٠ سنة بالتمام .. عمرها من عمر جدى أبو أبويا .. كانت كلها « عرابيسكة » بس الزمن جارُ عليها .. والزقاق ده فى زمانه كان زينة الحتة من سيدنا الحسين لغاية الغورية والمغربلين ..
- العطارة كلها كانت تندق هنا فى الزقاق وتطلع منه على بر الشام .. وعلى كل البلاد .. وأبويا قال لى إن العبيد كان بتتباع فيه كمان .. !!
- الفرن اللى فى الرواية موجود .. وصاحبته كان اسمها أم سالم .. بس تعيشى انت .. والخرابة برضه موجودة .. بس بقى القصة بتاعة الاستاذ نجيب محفوظ هيه اللى مش موجودة فى الزقاق .. أنا بس اللى موجود .. أنا والقهوة ..

أمـــى .. عايـــزاك ..

من النافذة المقابلة للقهوة أطلت فتاة سمراء بعيون واسعة نادت ..

- خال .. يا خال .. إطلع أمى عايزاك ..

فى المنزل المقابل حيث كانت تسكن حميدة فى القصة تقطن الآن عائلة عم سعيد الجزمجى ..

يحتل عم سعيد حجرة يتخذ منها مصنعا صغيرا للأحذية .. وفى حجرتين هما بقية البيت تعيش زوجته .. وعزة .. آخر العنقود ..

صعدت السلم المهدم مع عم عبده خال الست جميلة صاحبة البيت وزوجة عم سعيد الجزمجى ..



عم ابراهيم صاحب القهوة فى الزقاق أو المعلم كرشة فى رواية نجيب محفوظ .

استقبلتنا الست جميلة بوجه مكفهر حاولت أن تبسط أساريره فى مواجهة الضيوف وعلى شعرها كانت عزة تضع حناء حمراء لتدارى الشيب الذى تسلل إليه ..

واصلت عزة عملها فى هدوء تضع الحناء على رأس أمها بدقة وأناة وهى ترحب بنا بينما انفعلت ست جميلة وهى تشرح لخالها كيف أنها لثالث مرة فى هذا الشهر تذهب إلى الأوقاف لتقبض الـ ١٥٠ قرشا نصيبها فى الوقف فلا تجد الموظف لأنه فى أجازة ..

تطلب ست جميلة من خالها أن يشوف له صرفة مع موظف الأوقاف ..

عزة مازالت تواصل فى صمت وضع الحناء على رأس أمها ..

عزة عيونها مصرية .. ولونها لون الطمى الخصب الغنى وشعرها المجعد حالك السواد .

تتمنى عزة لو بنت الحكومة الخرابة الموجودة بجانب الفرن فى الزقاق مساكن شعبية ليعود إليها كل من خرج من الزقاق ..

أسألها .. والبيوت القديمة يا عزة .. أين تذهب ..؟؟

تجيب فى حماس .. تفضل زى ماهية فى الزقاق ..!!

أجيب .. لكن الأرض قد لا تحتمل دق الأساس فتنهار البيوت القديمة فى الزقاق .. !!

تمتلىء عيونها الضاحكة بهلع خفيف وتجيب فى تصميم .. يبقى نفضل زى ما احنا .. ويفضل الزقاق .. !!

عزة فى بكالوريوس الخدمة الاجتماعية هذا العام .. وهى اخت صغرى لضابط .. ومهندس .. ومحاسب .. وموظفة .

ويأتى عم سعيد من الداخل .. هو صاحب عيا وعصبى للغاية لأنه وهو فى هذه السن مضطر لأن يعمل بيديه ..

- قال .. كل الصبيان مشيوا .. اللى هاجر .. واللى فتح لوحده .. واللى هرب من الصنعة كلها .. وفضلت أنا وحدى ..
- يا ريت أيام زمان تعود .. كان أحسن جوز جزمة بـ ٥٥ قرش من الجلد الأجلاسيه وكانوا يلبسوه الأكابر .. وكان الصبى يوميته ٣ صاغ دلوقت جوز الجزمة بخمسة جنيه والصبى يوميته جنيه ..

ست جميلة مازالت توصى عم عبده بأن يتصرف مع موظف الأوقاف ونحن نهبط السلم بحرص محاذرين أن ينهار ..

الحلو كان هنا ..

اتجه مع عم عبده صعودا فى الزقاق حتى الفرن الذى هو مخزن للعطارة الآن .. هو تماما كما وصفه نجيب محفوظ .. لكن أصوات الدق المتواصل تنبعث من داخله الآن وعلى بابه ميزان كبير منصوب يحمل جولات العطارة ذات الرائحة النفاذة ..

الفرن الآن تسلمه الحاجة على أبوزيد .. اشتراه من أولاد أم سالم صاحبة الفرن عام ٥٧ بمبلغ ١٦١ جنيها وحوله إلى مخزن كبير للعطارة من كل الأصناف ..

ومن أجل ذلك فالدق لا ينقطع من زقاق المدق ..

لكن الحاج على ليس من أهل الزقاق وإنما جاء من أسوان .. واستأجر

هذا المخزن لبضاعته من أصناف العطارة .. لذلك لا يعلم كثير عن الزقاق لكنه مع ذلك قال إنه سمع من يقول أن عباس الحلو كان يقينا يشغل المحل المجاور لوكالة فى أول الزقاق والمغلق الآن ..؟؟..

من الفــن إلى النحــاس

الزقاق يلتوى صاعدا بضع درجات أخرى تتوقف عند دكان صغير مغلق بضفة لا تزيد مساحته عن مترين وبداخله ثلاثة أشخاص .. رجل فى حوالى الخمسين واثنين من الصبية وتحت أيديهم يبرق النحاس الأصفر بلونه الجميل وهم .. يواصلون النقش عليه ..

الرجل هو محمد اسماعيل الذى ترك العمل كمزيكاتى بشارع محمد على وبدأ وهو فى هذه السن ينقش على النحاس ..

محمد اسماعيل هو إبن أخت أم سالم رحمها الله ..

عندما ضاقت به الدنيا فى عالم الفن جاء إلى الزقاق فاستأجر من خالته هذا الدكان بجنيهين وبدأ ينقش على النحاس ..

قال إن الفن لا يمكن أن يغنى أو يشبع من جوع ..!! والدنيا غوله فلوس ..!!؟

سألته : هل يستطيع الفنان أن يستبدل بالفن النحاس وفى مثل هذا العمر ..؟؟

غطت عينيه طبقة رقيقة من الدموع احتجزتها الرجولة والكبرياء وقال ..

- ممكن .. لما الدنيا تعوز .. واستأنف الدق على النحاس .. ثم رفع عينيه فجأة وقال ..
- على فكرة .. كان نفسى أحط الموسيقى التصويرية لفيلم زقاق المدق وأدخل فيها الصاجات والمباخر والدفوف .. ده ياما عباس الحلو حلق لى ونا عيل صغير .. وحميدة .. كانت أحلى من شادية ورب الكعبة ..!!.. أيوه كانوا هنا موجودين .. ده أنا شفتهم ياما بعنيه دول ..!! واستأنف الدق على النحاس ..

زقـــاق المـــدق .. فى نيويـــورك

عن القصة والفيلم يعرف كل أهل الزقاق كل شيء وأيضا عن نجيب محفوظ ..

يحكى عم عبده صاحب القهوة أن « الأستاذ » كما يلقبه الجميع كثيرا ما كان يأتى فى الأربعينات ويجلس فى القهوة صامتا مرتديا نظارة غامقة اللون حتى خرجت القصة إلى الوجود .. لكنه يأسى لأن الأديب الكبير لم يعد يزور الزقاق « زى زمان » ..

زار الزقاق بعد نشر القصة كثيرون .. أدباء .. وفنانين وطلبة معهد السينما والمسرح .. وطلبة الفنون ..

جاء أحدهم يوما .. وفى ساعات الصباح الأولى إعتلى ظهر عربته وبمفك صغير خلع اللافتة التى تحمل إسم الزقاق من على الحائط ووضعها تحت ذراعه .. ومضى ..

يحكى أهل الزقاق بانفعال شديد أنه أخذها للذكرى وعلموا بعد ذلك من أصدقائه أنه سافر بعيدا إلى نيويورك ليعمل هناك ..

من خوفهم أن تصبح عادة .. خلعوا اللافتة الأخرى التى تحمل إسم زقاقهم من على الحائط المقابل وأخفوها فى خزنة عم سعيد الجزمجى لئلا يستولى عليها معجب آخر بزقاقهم .. وهكذا أصبح الزقاق بلا لافتة تحمل إسمه ..

حقيقة مؤكدة لاحظتها طيلة ساعات وجودى فى الزقاق وهى أنه بالرغم من ضيق الزقاق ووجود الخرابة بكل ما تحويه من قاذورات ومخلفات فلا أحد يريد أن يغادر الزقاق ..

أحسست أنهم يشعرون جميعا بأنهم يحملون علامة مميزة لا يريدون أن يفقدها .. فلقد كتب عنهم سيد أدباء العصر .. كما أن الظل هناك تحت التكعيبة الوارفة الظلال .. والسكون أيضا رغم صخب وضجيج شارع الصنادقية الكبير .. والألفة والقرابة والود والتراحم يبسط ظله على الجميع فالكل أقارب وأهل تجمعهم سنين العمر والنشأة الواحدة فلماذا يتفرقون ..؟؟

وبالرغم من ذلك فبالزقاق طبقية ..!!

من عند التكعيبة وحتى الفرن القديم فهذا هو الزقاق أما ما يلى ذلك فيسمونه « الخرابة » رغم أن به دكان ومنزلين ..

بداية الزقاق بها المياه .. والنور .. والجزء الباقى يعتمد على حنفية عمومية للمياه .. ويقترضون من مخزن العطارة أى الفرن القديم .. الكهرباء ..

الشيء المشترك بين الخرابة والزقاق هو عدم وجود مجارى على الاطلاق .. لكنهم وبالرغم من ذلك راضون وباقون .. بل ولا يشكون من شيء خشية أن تنقلهم الحكومة إلى خارج الزقاق بحجة التحسين ..

* * *

أيـــن أحمـــــد

أعاود الصعود فى الزقاق إلى ما بعد الخرابة لأجد فى أحد البيتين أم أحمد .. وارثة الفرن القديم هى وأولادها عن ررجها سالم ..

أم أحمد كانت عائدة من زيارة إبنها الأكبر السجين فى سجن طنطا كما انفلت بهذا لسان أحد الأطفال .. !! لكنها لم تشر إلى هذا لا من قريب ولا من بعيد وإنما ذكرت أنه يعمل فى طنطا وأنه كسيب .. !!

تظاهرت بتصديقها وسألتها عن حماتها صاحبة الفرن فنفت بشدة أنها كانت كما صورها نجيب محفوظ « شرانية » وتضرب زوجها ..

● قالت .. مالوش حق سى نجيب .. والنبى لو كان شافها وعاشرها كان حبها أوى .. لكن معلش يمكن أكل عيشه هو اللى حكم عليه يكتب كده .. !!

على مدى ثلاثة أيام حاولت أن أعرف بأى تهمة سجن أحمد بن أم أحمد .. لكن الجميع اتفقوا على عدم البوح بأى شيء عنه ..

أجمع الكبار على أنه يعمل فى طنطا .. وأن زقاقهم لا يعرف الجريمة أو الانحراف .. بينما لزم الصغار الصمت المطلق وبدوا وكأنهم قد تلقوا تنبيها مشددا بعدم الكلام ..

أحسست أنهم من شدة حبهم للزقاق يريدون أن تبقى صورته لا تشوبها شائبة فى عيون الاخرين .. !! وفيما بينهم فهم ستر وغطا على بعضهم وعلى زقاقهم .. !!



عزه شباب زقاق المدق .



ست جميلة من معالم الزقاق .

أواصل الصعود إلى أعلى حيث أم بدر أكبر من فى الزقاق سنا فهى قد تجاوزت الثمانين ..

جاءت من الصعيد مع زوجها المرحوم .. وكان راجل وكان كسيب ..

- من ستين سنة جينا الزقاق فى نفس البيت .
- كان إيجاره فى الشهر ٣٥ قرش .. وكان الخير كتير .. والعز كتير .. والأولاد كتير ..
- الراجل مات .. والعز راح .. والأولاد كل واحد ربنا يسهل له خدته واحدة ومشيت بيه وفضلت وحدى زى ما انتى شايفة فى الزقاق ..
- أيوه شفت الفيلم كله .. !! حاكم كل ده حصل فى الزقاق .. أيوه كل اللى فى الفيلم كانو هنا حبايب وجيران ..

● إيه .. بتقولى إيه .. ؟؟ حميدة كانت ساكنة فين .. ؟؟.. حميدة مين .. ؟؟..

انحدر الآن هابطة ثانية إلى مدخل الزقاق ..

أمر مرة أخرى على المقهى القديم ..

كانت الشمس قد مالت صاعدة فى السماء .. والقهوة لم يفد عليها أحد بعد .. وعم عبده على بابها على كرسى من القش .. يغفو فتميل رأسه على صدره .. وينتبه فيهش بالمنشة ذبابة وهمية عن وجه .. قبل أن يطويه ثانية النوم ..

الأصوات هدأت كثيرا فى الزقاق .. والتكعيبة تهتز أوراقها من نسمة طرية ضلت طريقها وسط هذا الجو الحار .. وأعلى الحائط فى مدخل الزقاق مربعان خاليان يشيران إلى مكانى لافتتين .. إحداهما الآن فى نيويورك والأخرى تختفى فى خزنة عم سعيد الجزمجى خوفا عليها من السرقة للذكرى والتاريخ ..

مع صاحب الزقاق نجيب محفوظ

تبقى بعد ذلك عن الزقاق كلمات .. فمن يقولها .. ؟؟

يقولها صاحب زقاق المدق .. الذى أخرجه من جسم شارع الصنادقية الكبير حيث يختفى إلى وجدان مصر كلها ..

يقولها من أهدى إلى المصريين زقاق المدق فى سطور لا يمكن أن تفنى حتى إن فنى الزقاق ..

كلمات يقولها أديبنا الكبير الأستاذ نجيب محفوظ ..

● بدأت كتابة زقاق المدق فى عام ٤٤ وخرجت للناس عام ٤٧ وكنت أكتبها والحرب دائرة ..

● علاقتى بالمنطقة كلها علاقة قلبية .. روحية .. أنا مولود فى هذه المنطقة .. واتصلت خيوط صباى بهذه الأماكن .. بسيدنا الحسين وبالجمالية والزقاق والخان وقهوة الفيشاوى .. وكنت بعد أن تركت المنطقة إلى العباسية أعود .. وأعود مرارا يشدنى قلبى إلى كل المناطق التى طالما أحببتها ..



الوكالة فى الرواية خيال ... وفى الزقاق واقع .

- كنت من عشاق الزقاق .. شدنى إليه قلة الناس فيه وشكله الخاص .. تكعيبة العنب .. والقهوة الوحيدة .. واسمه الغريب .. وعندما بدأت فى كتابة القصة أخذت منه الإسم فقط فلا صحة إطلاقا لوجود أية شخصية من الزقاق فى القصة ..

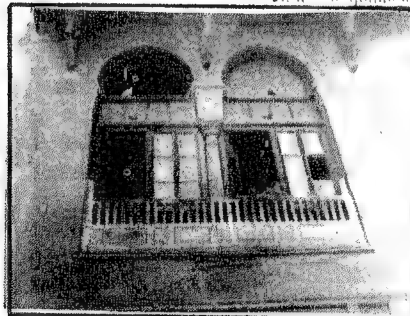
- لم يدخل أحد من سكان الزقاق فى القصة على الإطلاق ..
- عندما ظهرت القصة إلى الوجود وقدمت على المسرح ثم فى السينما وجد فيها أهل الزقاق نقطة ارتكاز يتكلمون فيها ويقولون أن للشخصيات وجود حقيقى فى زقاقهم وقرأت كل هذا منهم ولم يطاوعنى قلبى على تكذيبهم فأنا أعتقد أن لهم حقا فى الرواية فلقد أعارونى إسم زقاقهم لكن الحقيقة أنه لم يدخل أحد من الزقاق فى القصة ..

لا أذكر من شخصيات الزقاق الواقعية غير صبى القهوة وكان صبيا ظريفا كثيرا ما كان يؤانسنا عند جلوسنا فى مقهاه ..

- إننى واثق تماما أن ما من شخص يعيش فى الزقاق الآن سبق له أن رآنى ..
- انقطعت منذ مدة طويلة عن زيارة الزقاق بسبب مواصلات القاهرة لكننى أتمنى لو عدت لنفسى الأماكن وعلى فترات .. فأنا مشدود إلى هناك بحكم النشأة والعشرة .. والحب ..

....
....
....
....
....

حارة خوشقدم



هيئة الآثار احتلت بيت شهبندر التجار ..
قطعة من أغلى آثار المماليك .. ضاعت وسط مكاتب وملفات الموظفين ..
القصبجية انتهوا وبقى عم أحمد .. والحمامات انقرضت وبقى حمام الجبيلى ..

على أرض هذه الحارة رأيت الزمان القديم يبعث حيا نابضا يضج بالحركة والحياة ..

فى هذه الحارة الضيقة يكاد المرء وهو يسير على أرضها المبلطة بالحجر الأسود اللامع وتحت مشربياتها الخشبية المعلقة فى البيوت أن يسمع صليل السيوف وصهيل الخيول .. وخطوات تسترق الخطى فى الظلام يعلن دبيبها الخافت عن مؤامرة تدبرها طائفة من المماليك لطائفة أخرى أيضا من المماليك .. فى هذه الحارة الضيقة تعود مصر القديمة إلى الحياة بمماليكها .. وجواريها وسلاطينها .. ونساءها المحجبات ..

* * *

فى هذه الحارة تبعث فى أواخر القرن العشرين قطعة من قاهرة المعز .. والمستنصر .. والسلطان الغورى وطومان باى .. بنفس بيوتها .. وعطفاتها .. ومنحنياتها بل وبعض حرفها أيضا التى لم تزل فى الحارة منذ مئات السنين .. بل ويبقى الاسم أيضا « خوشقدم » كما هو منذ خمسمائة عام .. تتوارثه الحارة الطويلة الضيقة المتفرعة من شارع الغورية العتيد بالقرب من وكالة الغورى وعلى بعد أمتار من باب زويلة العظيم ..

كأنها تختفى بكنوزها من الزمن .. ومن الناس هذه الحارة .. حارة خوشقدم .. فمدخلها يرتفع عن مستوى الشارع بضعة أمتار ثم ينحنى بشدة لتختفى الحارة تماما بعد ذلك وراء صف كامل من البيوت تطل على شارع المعز لدين الله «الغورية» فلا يبين لها أثر من الشارع ولا يستدل عليها إلا من يعرفها من قبل ويعرف أن هاهنا حارة خوشقدم ..

تظلم إظلاما شديدا فى معظم أجزائها وتضىء بضوء خافت للغاية فى أجزائها الأخرى عدا المدخل لأن به قهوة زاعقة الأضواء .. وفى كل بضعة أمتار يصادف السائر عمودا قديما يحمل مصباح غاز الاستصباح القديم مطفأ طبعا فقد عفى عليه الزمان وراح من كان يمر بمشعله ليضيئه .. وانقرض .. وحل محله مرفق الكهرباء الهمام .. وياليته بقى ..

- حارة مميزة ولاشك .. فماذا تحوى حارة خوشقدم..؟

سلطان بالصدفة

من هو خوشقدم الذى ظلت الحارة تحمل اسمه مايزيد عن خمسمائة عام..؟

يقول المقريزى فى خططه عن تاريخ القاهرة أن خوشقدم هذا هو السلطان أبو سعيد بف الدين خوشقدم الناصرى أحد سلاطين دولة المماليك الجراكسة .. تولى عرش مصر عام ٨٦٥ هـ وتوفى فى عام ٨٧٥ . وكانت الحارة التى سميت باسمه هى مقر إقامته وهو بعد أمير قبل أن يصبح سلطانا ..

اللعب بالذهب والفضة

إذا تغاضينا عن القهوة الحديثة الملعلعة بالأضواء التى تحتل مدخل الحارة فكل ما فى الحارة قديم عتيق .

- بعد القهوة مباشرة تبدأ حارة خوشقدم الحقيقية فى الظهور .. ضيقة .. خافتة الضوء ..
- فى بدايتها دكان أثرى قديم لا اسم له .. أمام بابه نول يدوى يشد عليه شيخ عجوز قطعة من القماش عليها خيوط ذهبية تخطف الأبصار .. وتحت مصباح الشارع ونور الدكان ينحنى عم أحمد القصبجى ليخرج من بين أصابعه فنا جميلا للناس ..
- منذ خمسين سنة وعم أحمد القصبجى يعمل فى هذا الدكان .. يطرز بخيوط الذهب والفضة على القماش آيات القرآن الكريم وزخارف عربية وستائر مطرزة باليد .. وكان من قبل يشارك فى تطريز الكسوة الشريفة للكعبة ..

- لم أكد أصدق عينى وأنا أرى كل هذا الجمال والدقة والبراعة فى الرسم والتطريز .. كانت الخيوط الذهبية تلمع كالفرحة فى عز أوانها ونظرت بتقدير عظيم إلى الرجل العجوز الذى أحنى الزمن والعمل المتواصل ظهره وهو يواصل عمله فى سكون ..
- أشفقت أن أسأله فلقد تكلم وقدم نفسه التطريز البديع خير تقديم ولكنى مع ذلك سألت وأجاب ..
- قال عم أحمد القصبجى الذى يبلغ من العمر ٦٦ عاما ..
- الضروريات النهارده غطت على الكماليات .. مين دلوقت يفكر يكلف مفرش السرير بالقصب شغل اليد ٥٠٠ جنيه .. ؟
- مافيش حد .. مع إن زمان كان جهاز العروسة مايكملش إلا بالمفرش القصب ..
- من ٤٠ سنة كان كيلو القصب الخيط من ألمانيا وفرنسا والهند باتنين جنيه دلوقت الكيلو حصل ٤٠٠ جنيه ..

أنا مش زعلان من حاجة .. الرزق ده بتاع ربنا هوه اللى بيقسمه لكن زعلان ع الفن الجميل اللى حايموت معانا لما نموت إحنا ويندفن فى القبور ..
- نفسى الدولة تمد إيدها للأسطوات الكبار عشان يعلموا الصغيرين .. عشان مصر تفضل أم الدنيا على طول ..
- الإيد الفنانة اللى بتشتغل خلاص مفيش .. والقصبجية انتهوا وحايبقوا بعد كام سنة ذكرى وتاريخ .. !

بائع دوائر المعارف

قبل نهاية حديثى مع عم أحمد القصبجى كان قد أقبل شاب كل مافيه حديث .. بذلته الجينز الغالية .. تسريحة شعره .. إيقاع كلامه السريع ..
- تقدم فصافح عم أحمد وقبله باشتياق ثم جلس صامتا على كرسى صغير أمام الدكان .. وعندما انتهى عم أحمد من الكلام قدمه لى قائلا .. الأستاذ ممدوح اللى بيستلم الشغل ويصدره لبلاد برة .. !!

- وتكلم ممدوح شبل فقال .. لايعرف هذا الرجل عم أحمد قدر نفسه تماما .. ونحن أيضا المصريين لانقدر أمثال عم أحمد حق قدره ..
- عم أحمد وأمثاله من القصبجية ثروة قومية يجب أن نحافظ عليها لو ضاعت وانتهت لن نتمكن من تعويضهم أبدا ..
- واستطرد ممدوح الذى كان يبدو متحمسا ومنفعلا جدا .. أصاب بالفزع الشديد كلما تذكرت أن القاهرة بأسرها لم يعد فيها غير ٩ فقط من القصبجية على قيد الحياة ..
- الدولة بيدها إنقاذ الموقف بإنشاء مدرسة أو مركز تدريب قبل أن ينتهى هذا الجيل .. وينتهى من مصر فن التقصيب .. أما أنا فمنذ عثرت عليه وأنا لاأمل المجىء إلى هنا والجلوس أمامه لأرقب أصابعه الفنانة وهى تصنع الجمال .. وذلك خلال فترة تواجدى فى مصر .. فإنا لاأقيم حاليا فى مصر .. وإنما أتنقل بين البلاد .. زرت حتى الآن ٣٥ دولة أبيع فيها الكتب ..
- تنبهت أذانى جيدا .. كيف ..؟؟ وأى نوع من الكتب ..؟؟
- استطرد ممدوح الذى صرح لى فى بداية حديثه بأنه راسب ثانوية عامة منذ سنوات ..
- هى مهنة غير معروفة فى مصر فأنا أبيع بالتحديد دوائر المعارف فقط فى طبعة شعبية لاتتكلف كثيرا .. أغلى دائرة معارف تتكلف ٢٥٠ دولارا وأتجول فى الدول لأبيع هذه الكتب .. هناك دول ضرورة فى كل بيت أن توجد دائرة معارف على أى مستوى من المستويات بالإضافة طبعا إلى المتخصصين الذين يطلبون دوائر معارف فى فرع معين من فروع المعرفة .. هنا فى مصر لايعرف هذا النوع من النشاط لذلك فكل حركتى خارج البلاد .. لكنى مرتبط ببلدى أشد الارتباط لاتمر شهور إلاوأنا هنا
- فى إحدى جولاتى حملت معى ثلاث قطع مذهبة من صنع عم أحمد إلى أمريكا .. فوجئت من الأمريكان لاأقول بالانبهار ولكن بالذهول للروعة والجمال . وبعت القطعة الواحدة بخمسمائة دولار بينما عم أحمد هنا يصنعها بثلاثين جنيها .. حقيقة لايعرف هذا الرجل قيمة ماتخرجه يداه ..



بيت شهبندر التجار .. وأحلى زمان

● المهم عقدت معه اتفاقا أن يمدنى ببعض إنتاجه كلما حضرت لأبيعها فى أمريكا حيث جعلنى فن عم أحمد أكتشف لأول مرة أن الآلة ليست سيدة كل موقف فمازال لليد البشرية قدرة الإبهار ..

ياليل الصب متى غده ..

تركت ورائى عم أحمد يستأنف العمل على النول .. وتركت قدماى تقودانى أيضا فى الحارة الضيقة .. فكل مافيها رغم قدمه بالنسبة لى جديد ..

● هذا الجو الموحى .. وهذه الأبواب من الخشب المعشق الجميل .. وهذه المشربيات المتمنمة التى تطل منها العيون .. كنت أرفع رأسى تلقائيا إليها متوقعة فى لحظة يغيب فيها عنى الزمان أن ألمح من وراء هذه المشربيات عصابة رأس مطرزة ينسدل من تحتها شعر حالك كالليل الطويل .. أو أن تطل عيون ساحرة تستكشف الطريق .. لكن المشربيات كانت جامدة تلقى فى الضوء الخافت بظل عميق السواد على أرض الحارة المبلطة بالبازلت ..

● لكن .. مهلا .. على عتبة أحد البيوت كانت هناك مجموعة من الناس يجلسون على درجات سلم قديم يتوسطهم كهل أسمر اللون .. نحيل .. يغنى بصوت شجى عميق القرار ..

● واقتربت لأسمع موشحا أندلسيا جميلا فى نهايته ثم شعرا جميلا يقول ..

كل السـيوف قواطـع إن جـردت
وحسـام لحظـك قاطـع فى غمـده
إن شـئت تقتـلنى فأنت محجـب
من ذا ينـازع سـيدا فى عبـده

● كان الطرب أصيلا .. شجيا ... صوت كالذهب الحقيقى الذى انصهر فسال نهرا يترقرق الصفاء ..

● سألت من يغنى .. ؟؟ فتكلم المغنى الكهل النحيل عبد الرحمن إدريس .. المهنة خطاط .. والعشق للطرب والغناء ..

● يقترب عم عبد الرحمن من السبعين وصوته فى حلاوة السنين الخالية وليست المشوبة بالأحزان ..

- لكن سنوات عبد الرحمن إدريس لم تخل مع ذلك من الشجن والأحزان .. لم تعطه الدنيا اللعوب أبدا ما يريد ..
- من الغورية فى زمن الشباب خرج عم عبد الرحمن يريد أشياء وأشياء... يريد أن يغنى للدنيا وللناس وكان وقتها يعيش قصة حبه التى توجها بالزواج ..
- كان عبد الرحمن إدريس منتشيا بكل شيء فى حياته بالحب .. وبالشباب .. وبالنجاح فهو خطاط فنان والخط الجميل موهبة من عند الله .. وصوته الجميل العذب تصور أنه سيفتح له أبواب الدنيا اللعوب ..
- وتبناه فى زمانه مشاهير الملحنين فلحن له أحمد عبد القادر ومرسى الحريرى .. وسمعه كبار المطربين وكانت له أغنيات خاصة به ..
- وجاءت الليلة التى عاش عبد الرحمن إدريس يحلم بها عندما أستأجر مسرح أوبرا ملك بشارع عماد الدين ليقدم عليه حفله الأول بعد أن كان قد غنى من قبل فى الإذاعات الأهلية .. وبيعت التذاكر عن آخرها وآن للحلم أن يكتمل فينادى من فوق المسرح على الدنيا والنجاح بصوته الجميل ..
- لكن .. حتى الفن الجميل له أيضا وجه آخر قبيح ..!!
- قبل رفع الستار بساعتين كانت الفرقة التى تدرب معها شهورا طويلة لتصاحبه فى ليلة الحلم هذه قد اشترى ذمم أفرادها جميعا مطرب كبير بالنفوذ فانسحبت جميعها وتركته وحده يواجه الموقف بلا معين ..
- إنطلق عبد الرحمن إدريس ليلتها فى شارع عمادالدين يقتضى آلاتى من هنا وآخر من هناك حتى جمع شبه فرقة موسيقية كانت تعزف اللحن وراءه لأول مرة دون تدريب وكانت النتيجة طبعا السقوط الشنيع .. ليلتها كان يغنى لأول مرة أغنيته الخاصة التى لحنها له الشيخ درويش الحريرى شيخ ملحنى عصره ..
- لم يحاول عبد الرحمن إدريس بعد ذلك أن يصالح الفن أو أن ينادى دنيا النجاح .. أغمض عينيه عنهما تماما وانغمس فى الخط يأكل منه لقمته ويربى الأولاد .. وانقلب إلى مطرب عائلى فقط يغنى فى أفراح أسرته والأصدقاء ويشجى أصدقاءه فى الحارة التى تربى فيها بصوته العذب كل مساء ..

● عندما كنت أبتعد عن الحشد الذى يحيط به وهو يغنى اكتشفت أن معظم من يحيطون به ويستمعون له بإنصات عميق هم من الشباب الصغير .. وكان صوته العذب يسرى مع نسمات الليل العذبة فى حارة خوشقدم الضيقة وهو يشدو من جديد ..

ياليـــل الصـــب متى غـــــده
أقيـــام الســـاعة موعـــــده
وقــف الســـــمار وأرقهـــــم
أســـف للبيـــن يـــــردده

● وما أكثر الحكايات فى حارة عصر المماليك هذه فى ليلة من ليالى عام ١٩٧٩ ميلادية فى قاهرة المعز الساحرة ..

الحمام قسا عليه الزمان ..

خطوات أخرى واستوقفنى بناء كبير كان بابه المنفرج قليلا يعلن عن هويته .. هو حمام عمومى .. منسق البناء .. متعدد الحجرات .. ما اسمه ياترى .. ومن بناه ..؟؟ ومن يملكه .. ومن يديره الآن ..؟؟

● تطوع أكثر من واحد ليستحضر صاحبه عم حسنين الذى أتى من بيته القريب وجلس يحكى حكايته وفى صوته وفى عينيه الانكسار .. قال :

● الحمام الجميل ده من أيام ابويا .. وجدى .. وجد جدى .. وجدودى كلهم .. من أيام الملك الظافر اللى العطفة القريبة دى متسمية باسمه .. كان نوارة الحارة .. وعامل لها حس وقيمة .. لكن الله يلعن الزمن اللى مابيسبش حد فى حاله .. !!

● لامش الزمن .. الزمن مظلوم .. الله يلعن الطمع اللى بيفرق حتى الإخوات .. !!

● الحمام ده اسمه حمام «الجبيلى» قال عليه المقريزى فى خططه فى تاريخ القاهرة وحواريها بنفس اسمه من يوم ربنا مانشأه .. كان لما الصبح يطلع يتولع فيه ١٦ أذان تفضل تغلى طول النهار وتملا ٣ أحواض والداخل والخارج ماينقطع عنه .. والستات ميعادها من الساعة ٢ لخمسة بعد الظهر .. وكان

فيه المكيسين المدلكين والحلاقين .. يدخل الراجل من دول يخرج منه ولا العريس فى ليلة جلوته .. وتدخل الست تخرج وردة مفتحة على غصنها .. وده كله بعشرة صاغ .. حمام .. وحمام بخار .. وتكييس .. وتدليك .. حمام العافية بصحيح .. وفضلت الدنيا على دى الحال لما قام أبويا مات ..

- اختنق صوت عم حسنين وهو يحكى كيف اتفق إخوته فورا على إغلاق الحمام وبيعه بالمتر لينفقوا النقود على الكيف والمزاج .. ثم غلبه التأثر وهو يحكى كيف يريد إخوته أن يخرجوه الآن وهو يقترب من السبعين من بيته التابع للحمام ليهدموه ..
- يرفض عم حسنين الخروج إلا بعد أن يجدوا له مكانا آخر أو يعطوه خلوا يدفعه فى السكن الجديد .. لكنهم سامحهم الله يهددونه بإخراجه بالقوة وهدم البيت ..

بيت شهبندر التجار ..

أمضى فى الحارة وبرفقتى عم حسنين الحمامى صاحب حمام الجبيلى .. ومع كل خطوة يفوح فى الحارة عبق الماضى الجميل .. وتنتشر رائحة بخور لا أدرى من أين تأتى .. رائحة لطيفة تخدر الأعصاب ..

- أتوقف أمام قطعة مجسمة من الماضى السحيق تطل من المشربيات العديدة التى تزين واجهة منزل جميل عظيم البناء .. الباب ضخم من الخشب الثمين المطعم بالنحاس وله يد نحاسية ضخمة يدق بها من يريد أن يلج الدار ..
- رنت اليد النحاسية على الباب رنينا جميلا يكاد أن ينطق ويقول .. أهلا ..

وسهلا بالزائرين .. وانفرج الباب عن صبى صغير جميل كأنه مملوك جركسى بشعره الأسود الناعم وعيونه الواسعة السوداء جرى مسرعا لينادى أباه ..

- وجاء محمد عبد الحميد نوير حارس بيت جمال الدين الذهبى شهبندر تجار مصر عام ١٦٣٧ ميلادية وأغلق الباب الخشبى الكبير .. واقتادنا إلى الداخل وأصبحنا الآن تماما فى عصر سلاطين المماليك الجراكسة .. وانتقلنا

بالذات إلى عصر السلطان الظاهر برقوق الذى بنى البيت فى عهده ولا شيء يربطنا بتاتا بخارج البيت .. حتى ضجة الحارة غابت عنا وراء جدران البيت السميكة .. وكل ماحولنا مشربيات .. وقاعات مزينة بالصدف وبالزجاج المعشق الملون وبأبيات الشعر وآيات القرآن بالخط الكوفى الجميل ..

- وفى الحديقة كانت الفسقية من المرمر الجميل تلمع رغم مضى مئات السنين على إنشاءها .. والدنيا .. سكون جميل .. !!
- وبدأت الأبواب تنفتح عن القاعات الواحدة بعد الأخرى لتملى وتمتع العين بآثار عز قديم مضى ..
- ياللجمال .. والروعة .. كل حائط بماعليه كنز لايقدر بثمن .. وكل خطوة كانت تنقلنا من روعة إلى روعة ..
- الجدران كلها من المرمر وبطول قامة الرجل كانت تنتظمها الحكم البليغة .. وآيات القرآن .. والشعر الجميل مكتوبة بالخط الكوفى فى نظام جميل ..
- أما قاعة المقابلة الكبرى فمتعة للعين حقا بماتحويه من فنون اللعب بالخشب فى الأبواب والمشربيات وحلية السقف والجدران وفى نهايتها على اليمين قاعة الحمام يقفل عليها باب من الخشب المشغول بعزل الحمام تماما عن بقية البيت ..
- وفى الناحية الأخرى سلم للخدم يهبط إلى أسفل إلى حيث المطابخ وبئر الماء وطاحونة الدقيق ويصعد إلى أعلى حيث قاعات الطعام ..
- وهذا هو باب الحريم .. فى اختفاءه وسط الحائط بفن دقيق حتى لايكاد يبين كل الغموض الساحر للدرر المكنونة وربات الخدور اللاتى كن فى ذاك الزمان ..
- ثم نأتى لأبواب الغرف المطعمة بالنحاس والنقوش .. تنفتح الأبواب على .... على .... مفاجأة قاسية .... على مكاتب حديثة متهالكة من الصاج .. !!
- مكاتب .. مكاتب كثيرة من الصاج الرمادى القبيح الذى لايمت للمكان بصلة .. عشرون ..؟؟ ثلاثون .. !! وبجانبهم المقاعد .. ودواليب صاج لزوم المكاتب .. !!

ما هـذا ..؟؟

- رد حارس البيت .. الموظفين ..!!
- الموظفين ..!! .. أى موظفين ..؟؟
- موظفو مركز تسجيل الآثار الذين ضاقت عليهم الدنيا فلم يجدوا غير هذا الأثر الجميل مكانا لمكاتبهم ..
- الحجرات أصبحت لاتمت للمكان بصلة ..
- بدلا من قناديل الزيت مدت أسلاك الكهرباء ونزع الحجر الأبيض الجميل وصنع من الأسمنت جدران لتتحمل الكهرباء .. نزعت النوافذ والمشربيات وتحولت إلى شبابيك .. وهبطت الأرض فى كثير من المواقع .. وضاعت معالم الأثر الجميل فى هذه الحجرات تحت وطء أقدام أبناء عام ١٩٧٩ ..
- كأنها صفعة قاسية تلك التى أعادتنى إلى الواقع الأليم ..!!
- ألم تجد هيئة الآثار لموظفيها غير هذا المكان ..؟؟
- هل ستستطيع تعويضه أن ضاع ..؟؟
- كيف نعرض نحن وبأيدينا أثمن ماتمتلك من ماضينا للدمار ..؟ كيف طاوعه قلبه هذا الموظف الذى ملأ الجدران بإعلانات منزوعة من الجرائد ونتائج ودقها فيها بالمسامير ..؟؟
- بيت جمال الدين الذهبى شهبندر تجار مصر أصبح الآن مقرا لموظفى إدارة تسجيل الآثار ..
- فى صبح كل يوم يملأون المكان .. يمارسون فيه الأعمال المكتبية والإدارية وينصرفون آخر النهار ..
- من أجل هؤلاء الموظفين ردم البئر الذى كان يمد البيت بالماء .. وهدمت الطاحونة الأثرية التى لم يقو الزمن على هدمها طيلة هذه السنين ..!! وهدم الفرن أيضا خوفا من أن يعجب به السياح ..!!
- سبحانك يارب .. أعطيتنا العقل ليستعمله وتميز به الأشياء .. لكن يبدو أنه فى أحيان كثيرة يغيب ..!!



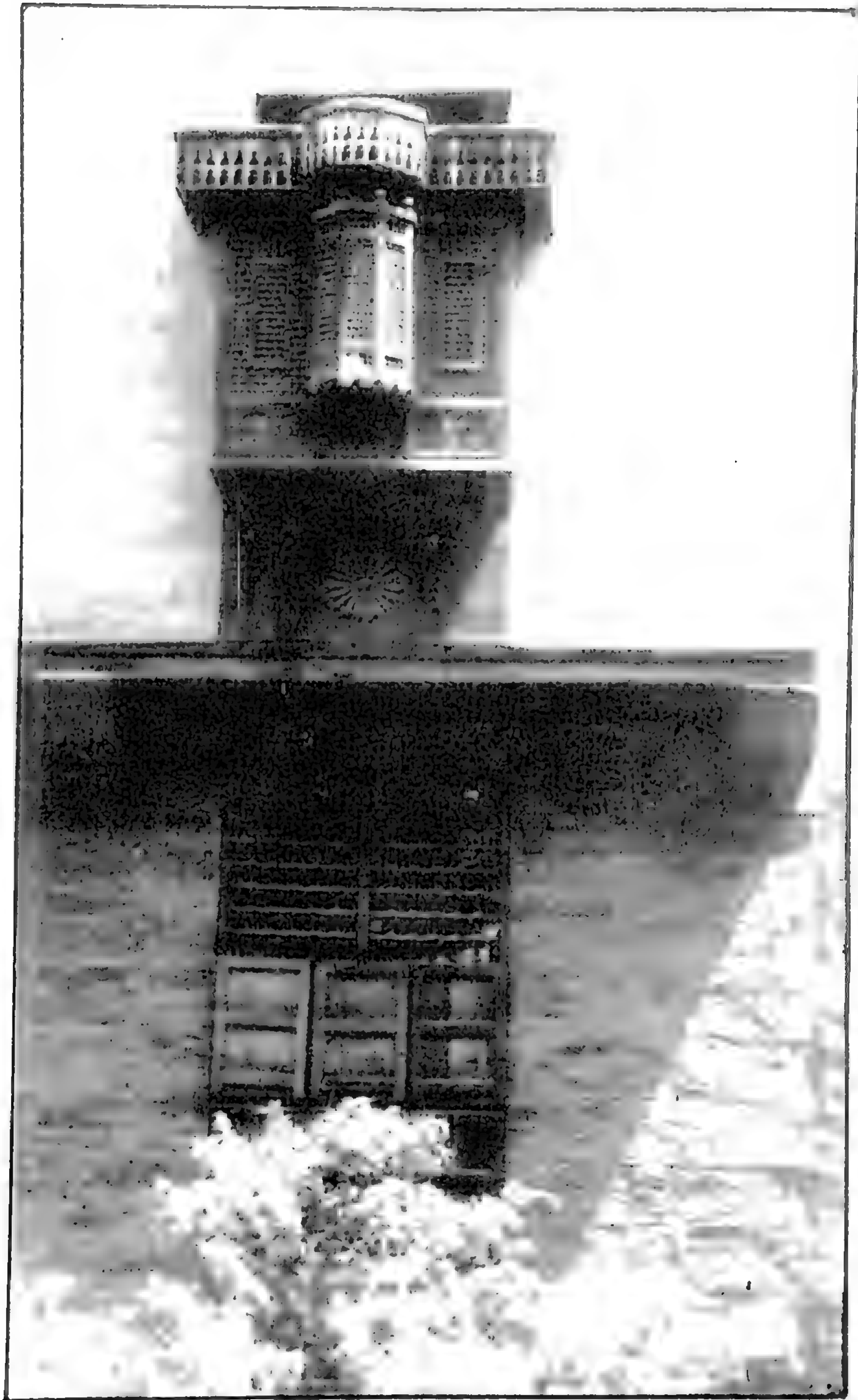
عم بيومى حلاق خوشقدم من ٦٦ سنة

«ملحوظة» .. لم يطاوعنى قلبى على العودة فى الصباح لأشهد المكان وقد امتلأ بالموظفين .. إكتفيت بالقصة التى سببتها لى رؤية المكاتب العجماء ..!!

وداعا حارة قدم السعد ..

أخذت طريقى إلى خارج الحارة مكتفية بمارأيت .. وقبل أن أصل إلى البداية التى جئت منها توقفت عند حلاق عجوز قالوا لى إنه أقدم من فى حارة خوشقدم .. وأكبر من فيها سنا ..

- عم محمد بيومى حلاق الحارة منذ ٦٦ عاما .. لم تنل منه السنين كثيرا .. فرغم لحيته البيضاء .. وشعره الحليب فمازالت النكتة على لسانه وحديثه شيق غريب قال ..
- خوشقدم دى معناها بالتركى «قدم السعد» والناس عشان تخفف الاسم على لسانها تقول دى حارة «حوش آدم» ..
- من ٦٠ سنة لما جيت الحارة دى كانت حارة سد ..
- الدنيا والله اتغيرت لأحسن بس الناس مش فاهمة حاجة ..



بيت جمال الدين الذهبى .. وجمال لم يندثر

- احنا صحيح أكلنا رخيص ولبسنا حرير .. واتمتعنا كتير لكن الناس من ٦٠ سنة ماكانتش كتير بالشكل ده .. أنا كلت اللحمة بقرشين والحلاقة عندى كانت بتلاتة تعريفة .. وشلن للكبارات اللى أفرش لهم الفوطة النضيفة .. دلوقت الحلاقة بربع جنيه ونص جنيه ..
- الحارة هنا اتغيرت من حيث الناس .. كان زمان فيها العلماء اللى علمونا الأدب والأخلاق .. والذوق وكنا نعتبرهم كآباء لينا .. كان فى الحارة الشيخ العدل .. والشيخ محمد عز .. والحاج محمد الحمامى .. وخرج منها شريف باشا العبد محافظ أسكندرية ..
- الناس بتقول على بيت الذهبى كان ساكن فيه نابليون .. لأ .. ده مش صحيح نابليون سكن فى بيت الألفى فى الأزبكية لما نزل مصر « هذا صحيح فى كتاب التاريخ » ..
- بيعجبنى فى التليفزيون ربيع العمر وكل المواضيع والتمثيليات .. ده كده عال أوى .. حد كان يصدق إن التشخيص ييجى لحد البيت ..؟؟

أمر عائدة إلى أول الحارة .. إلى خارج حارة خوشقدم وقد بانت مأذنة الحسين وقباب الأزهر الشريف ..

- من أمام القهوة الحديثة التى لا تمت للحارة بصلة أنحدر إلى شارع الغورية وصوت أم كلثوم يلعلع فى جنبات الحارة الضيقة ..

أهـل الهـوى ياليـل
فاتـوا مضـاجعهم
واتجمعـوا ياليـل
صحبـة ونامعهـم

....
....
....
....
....

حـــــارة التربيعـــة



شارع خاص جدا !!
هنا يباع الحذاء بـ ٣ جنيهات والعطارون يطالبون بتحويلهم إلى دكاتره .. !!

بمجرد أن خطوت أولى خطواتى فى شارع التربيعة بحى الأزهر شممت على الفور رائحة الزمان القديم .. وهل غير الزمان القديم كان يحتوى على مثل هذا الشارع الهادىء الوديع .. المظلل بسقف يعلوه .. فيجعل الضوء بداخله خافتا .. شاعريا .. ؟؟

من فرط هدوء هذا الشارع تحسبه جزءا منفصلا بعيدا كل البعد عن شارع الأزهر الصاخب المزدحم على الدوام .. وهو ينقلك بجوه وروائح العطارة التى تحملها ذرات هواءه عميقة نفاذة إلى قاهرة أخرى بعيدة لم ندركها نحن أبناء هذا الجيل ..

- قاهرة العربات بالخيول .. واليشمك .. وزفة المحمل الشريف .. والمشربيات .. والقصور .. قاهرة قرن وأكثر من الزمان الذى مضى ولن يعود ..

- الشارع ضيق جدا بحيث لا يستطيع إثنان أن يمشيا فيه متجاورين .. وهو لهذا يعطيك إحساسا بالخصوصية وبأنك تمشى فى شارعك الخاص .. ومنذ أول خطوة لك فيه تبدأ فى تلقى التحيات عن يمين ويسار فى مودة وترحيب أصحاب البيت الذين أقبل عليهم ضيف عزيز .

وللدكاكين الصغيرة المتلاحقة فى شارع التربيعة شكل خاص فمعظمها يرتفع عن الأرض بمقدار متر تقريبا .. وفى الداخل على بساط أو كليم أكل عليه الدهر وشرب يتربع صاحب الدكان وبجواره عدة القهوة والشاى بينما الحديث يدور بينه وبين جيرانه طيلة النهار .

دكاكين العطارة هى الغالبة فى شارع التربيعة ومن أجل ذلك تفوح فى جنباته رائحة قوية هى خليط من كل الأصناف ثم .. الى جانب العطارة هناك

بائعى السجاجيد والأكلمة والشيلان الصوف ثم الفئة الثالثة فى الشارع هى بائعة الأقمشة الحريرية والنايلون بالجملة .. الزاهية بل الزاعقة الألوان .

والتربيعة هى الإسم الذى يطلق على الجزء الأول من الشارع .. أما بقيته فيمتد تحت إسم شارع الفحامين فهو شارع واحد طويل أوله اسم التربيعة وباقيه يمتد تحت إسم الفحامين ..

هذا هو وصف شارع التربيعة والفحامين فى أيامنا هذه عام ٨٠ وهذا كان وصفه أيضا زمان .. فمنذ حوالى المائة عام عندما كتب على باشا مبارك خططه التوفيقية قال عن الشوارع :

« هو من أبهج الشوارع وأصقعها إلا أنه ضيق جدا لا يستطيع المار به أن يجوز راكبا دابته إلا بمشقة ويسكنه كثير من الماوردية الذين يبيعون الأعطار ونحوها .. وكثير من تجار الحرير الذين يبيعون الشاهى والكريشة والحرير ونحو ذلك وبعض المغاربة الذين يبيعون الطرابيش والبطانيات والأحرمة ونحو ذلك » .

الحرجل .. وعرق الذهب .. وعين العفريت ..

لا يملك الإنسان إلا أن يستعمل الصوت الخفيض عندما يدخل شارع التربيعة ويتبين مدى هدوءه وانخفاض الصوت فيه .

- فى أول محل على يمين الشارع كان يجلس كهل مسن على مصطبة تعلو عن الشارع مفروشة كما ذكرت بالأكلمة وأمامه ميزان وحوله أكوام من شلل صوف التريكو المتعدد الألوان ..

الحاج عطية الوجيه فى التربيعة منذ ما يقرب من الخمسين عاما ومن قبله كان والده فى نفس المكان ..

- قال لى إن المكان بنفس دكاكينه وأشخاصه كما هو منذ دخله من خمسين عاما ليس فيه شخص مستجد فالدكان يظل فى الأسرة الواحدة أجيالا عديدة يتوارثونه فلا يخرج منهم إلا نادرا ..
- يبيع الحاج عطية فى دكانه الصغيرة هذه خيوط الصوف والقطن والحرير بسعر الجملة .

- من محله هذا فى صرة مصر التجارية كما يقول ربى الحاج عطية سبعة من البنات وولدين احدهما نقيب فى الجيش .
- جاء الحاج عطية .. وفى محل على نفس نمط محله أيضا أى يرتفع عن الأرض قليلا شيخ بشوش الوجه .. محله يلمع كل ركن فيه الحرير فى عقود طويلة من كرات صغيرة ملفوفة بالحرير ألوان .. وشرائط طويلة مجدولة من الحرير وهو يلف هذه الشرائط والعقود كل لون على حدة ..

دكان عم محمد السيد وادى هذا اسمه دكان عقاد أى يعقد الخيوط ويجدلها ليصنع « قطان » الجلاليب البلدى والصديرى والقفطان ويصنع أيضا زرارير الجلاليب الصغيرة باليد ومن الحرير ..

قال العقادة عندى عقادة بلدى .. يعنى بس للجلاليب والقفاطين .. لإن فيه عقادة افرنجى خاصة بالستاير وكلف الفساتين والتنجيد .. دى مالناش دعوة بيها .. طول عمرى دى شغلتى فى نفس المكان .. كل الشغل من الحرير . حرير طبيعى بييجى من الصين وحرير صناعى من كفر الدوار ..

قطان الجلابية البلدى ده أبيعه بالجرام بستة مليم والزر بالعقد بأربعين قرش ملفوف على كتان ..

أحلام عم محمد وادى لا تتجاوز أولاده .. يحلم باليوم الذى يرى فيه طارق آخر الأولاد متوظف ومتجوز ساعتها .. سيرتاح من لف الحرير ..!!

* * *

الصوت الوحيد الذى كان يهدر فى الشارع مع ذلك أيضا فى هدوء نسبى كان صوت طاحونة العطارة التى كان صاحبها الآن غير موجود تاركا إياها تعمل فى نشاط ..

وإلى دكان العطار المواجه لها تماما دخلت ليشرح لى عم حسن ثابت بعض ما رأته عيناى فى دكان عطارته ..

- قال .. دى كناسة العطارة يعنى بقايا العطارة ينضاف لها شوية حاجات كدة وتبقى بخور عال العال تباع بخمسه صاغ الوقية .. وده « شيخ خراصان » يتغلى ويتشرب يعالج المعدة تماما .. وده « بذر برسيم » يترش فى

البيت يجلب الحظ ويمنع العكوس .. وده «حرجل» يتشرب للكلى .. وده «كمون كرامانى» مش للطبيخ .. لأ لعلاج النقرس وروماتيزم المفاصل .. وده «عرق دهب» يتكحلوا بيه عشان ينزل الدمعة ويعالج العين .. ودى «عين العفريت» تمنع الأعمال وتخوف الجان .. ودى «كبابه هندى» تطعم الأكل وتستعمل فى البهارات .

- وكفاية يا عم حسن شايف متجر العطارة واسع رحيب وأنا لا أملك من الوقت الكثير ..

النسـر ضـد البرشـام :

صاحب طاحونة العطارة كان قد وصل الآن كلما سألته كان يجيب دائما سيد أحمد على سعودى الشهير بالنسر .. مافيش حد فى التربيعة والفحامين ما يعرفنيش .. إزاى يا هانم ما تعرفنيش ..؟؟

- اضطررت للاعتذار له بزمانى القاسى الذى لم يجعلنى من سكان التربيعة والفحامين فلم يحصل لى هذا الشرف الكبير ..
- قال عم سعودى الشهير بالنسر ..
- الطب «وغلاوتك» يامدام أصله عند العطار .. ولو فيه مفهومية يدرسوا العطارة دى فى كلية الطب والعطار يدى فيها دروس ..
- أنا باطحن كل أصناف العطارة عندى هنا بالطاحونة دى .. لكن فيه حاجات لازم تندق بالإيد زى عطارة الأعصاب اللى هيه .. خلنجان .. وجنزبيل وداره صينى .. وجوزة الطيب .. والحمد لله الشغل ماشى عال ..
- أغلى كيلو عطارة .. أجرة طحنه عشر قروش زى السحلب والمغات .. أصل الطاحونة دى عقبال عندك بتربى ١٦ عيل وعيله ..!! مستغربة ليه ..؟؟
- أصل ربنا سبحانه وتعالى ما يتعاندش ..!!
- أنا اجوزت على مراتى عشان الخلفة بصيت لقيت ربنا فتح عليا فتوح .. اللى كانت ما بتخلفش جابت ٨ والجديدة جابت ٨ ولسه ما يستجد من عيال .. أصل أنا مش من أنصار البرشام ..!!



- مهما دارت الطاحونة يا عم سعودى الشهير بالنسر فكيف يمكن أن تطعم هذه القبيلة حتى ولو دارت ليل نهار ..؟؟..

أصـــل وفصـــل الســـجاد ..

المحل المجاور للطاحونة كان ممتلئا عن آخره بالسجاد والكليم الصوف والشيلان الرجالى البيضاء ..

- شرح لى صاحب المحل حسن أحمد الرشيدى أصل وفصل السجاد والشيلان فى شارع التربيعة منذ عشرات السنين قال ..
- محلات كتير هنا بتبيع السجاد ومشهورة بيها التربيعة من حوالى ربعميت عام ..
- إحنا هنا بنبيع السجاد جملة لتجار الأرياف ياخدوه يبيعوه بالتقسيط .. وهنا برضه بنبيع الكليم الصوف والقطن وكله يدوى على النول ..
- يبتدى سعر متر الكليم من ١٥٠ قرش ويوصل لستة جنيه وفيه برضه الكليم العدوى من أسيوط اللى بيتباع بالرطل بسعر ١٥٠ قرش .. أما الشيلان فزباينها كلهم من السودانيين والليبيين دى الشيلان تبعهم .. تبتدى مقاساتها من مترين لغاية ٥ أمتار طول وأسعارها من ٢ جنيه لثمانية جنيه ... والسودانيين بالذات يرغبوها تمام لما ينزلوا مصر يبيعوا الغنم والجمال لازم يفوتوا هنا يشتروا بالجملة الشيلان ... ليه بقى ...؟ تنفعهم فى البرد وموسم المطر والناموس ..
- أنا أبا عن جد فى نفس المكان ونفس التجارة ..
- عندى والحمد لله بنت فى السعودية مجوزه دكتور وبنت ليسانس أثار مجوزه عميد فى الجيش وبنت فى ثانيه تجاره مخطوبة لمعيد فى الجامعة .. والولد الوحيد بيتعلم لكن مسيره للدكان ..!!.. أمال مين حايمسك التجارة بعد ما أموت ...؟؟..
- عالم عجيب حقا عالم التجارة .. والتجار ..!!
- محل آخر للسجاد والكليم بجوار محل عم حست الرشيدى .
- يتاجر عم فتحى شحاته فى سجال دمنهور .. ويقول :

- كل عرايس الأحياء الشعبية تعرف طريق التربيعة والفحامين عشان فيه هنا كل الأصناف .. وكل واحد يختار على مزاجه ..
- سجاد دمنهور كله مكنه ويفرق عن اليدوى فى السعر كتير .. فى المتر حوالى عشرين جنيه ..
- دايما صنعة الإيد غاليه أمال إيه ..؟؟ الإيد خلقها ربنا .. وإنما المكنة صنعها إنسان ..
- الشارع ده هادى لإن كله ناس كبار فى السن مالهومش صنوت .. أصغر واحد فيهم بقاله فى الشارع مايقلش عن أربعين عام ..

الطربـــوش الوحيـــد :

الأحذية الشعبية أيضا لها مكان فى التربيعة والفحامين ..

- أمام مركز توزيع الأحذية الشعبية كما أصر أحدهم أن يسمى محله الصغير كان على محمد حسن يرص أحذية لكل الأعمار فى اعتناء شديد .
- قال .. الشارع ده كان شهرته فى الأول « البلغ » المغربى .. وبعدين بدأت الأحذية الشعبية تدخل فيه بعد المغاربة ماسابوه ..
- الأحذية الشعبية اللى بابيعها دى أرباحها ضعيفة جدا .. يعنى أغلى جزمة عندى ماتكترش عن ٣ جنيه ونص ..
- آخر النهار تلاقى هنا الصنايعية الصغيرين من باب الخلق وباب الشعرية والجمالية وحارة زويلة شايلين البضاعة على كتافهم وجايين يعرضوها للبيع أشوف اللى يناسبنى سعره وأشتريه وأعرضه للبيع جملة ونص جملة لضواحى مصر ..
- من خمسين سنة كنت أبيع أحسن جزمة حريمى بخمسين قرش وأحسن جزمة رجالى بتلاتين لكن هيه فين الايام دى .. ماخلاص ..!! ..

* * *

- من على بعد استرعى انتباهى رأس عجوز يتحرك داخل وكالة واسعة فى آخر شارع الفحامين يعلوه طربوش أحمر قان ..
- هل مازال هناك أحد يلبس الطربوش فى هذه الأيام ..؟؟ ..

● قال عيد محمد مطر وهو رغم سنواته التى تقترب من الثمانين مازال يتحرك بنشاط بالغ داخل وكالة بيع البطاطين والأكلمة التى يعمل بها ..

● الوكالة دى زمان أيام ماجيت الفحامين كانت ملك سى محمد بن قايد من تونس وكان يبيع فيها الطرابيش والبلغ والبطاطين .. وبعدين التوانسة والمغاربة مشيوا وفضلت الوكالة تبيع بنفس الأصناف بس انتاج مصر ..

● الطربوش ..؟؟ ما له الطربوش..؟ بيقولوا من فات قديمه تاه .. وناليه أفوت قديمى ده كله فايدة .. فى الشتا يدفى .. وفى الصيف يمنع الحرارة ونا كان بابيع طرابيش فى الوكالة للآن .. لسه فيه ناس بتحب تلبسها .. الدستة تجارى أبيعها بأربعة وعشرين جنيه .. لكن قطاعى الطربوش بتلاتة جنيه ونص .. زمان كان أحسن طربوش ماركة النسر بخمسة وأربعين قرش ..!!

ألم أقل أن للزمن القديم رائحة قوية فى شارع الفحامين ..؟؟

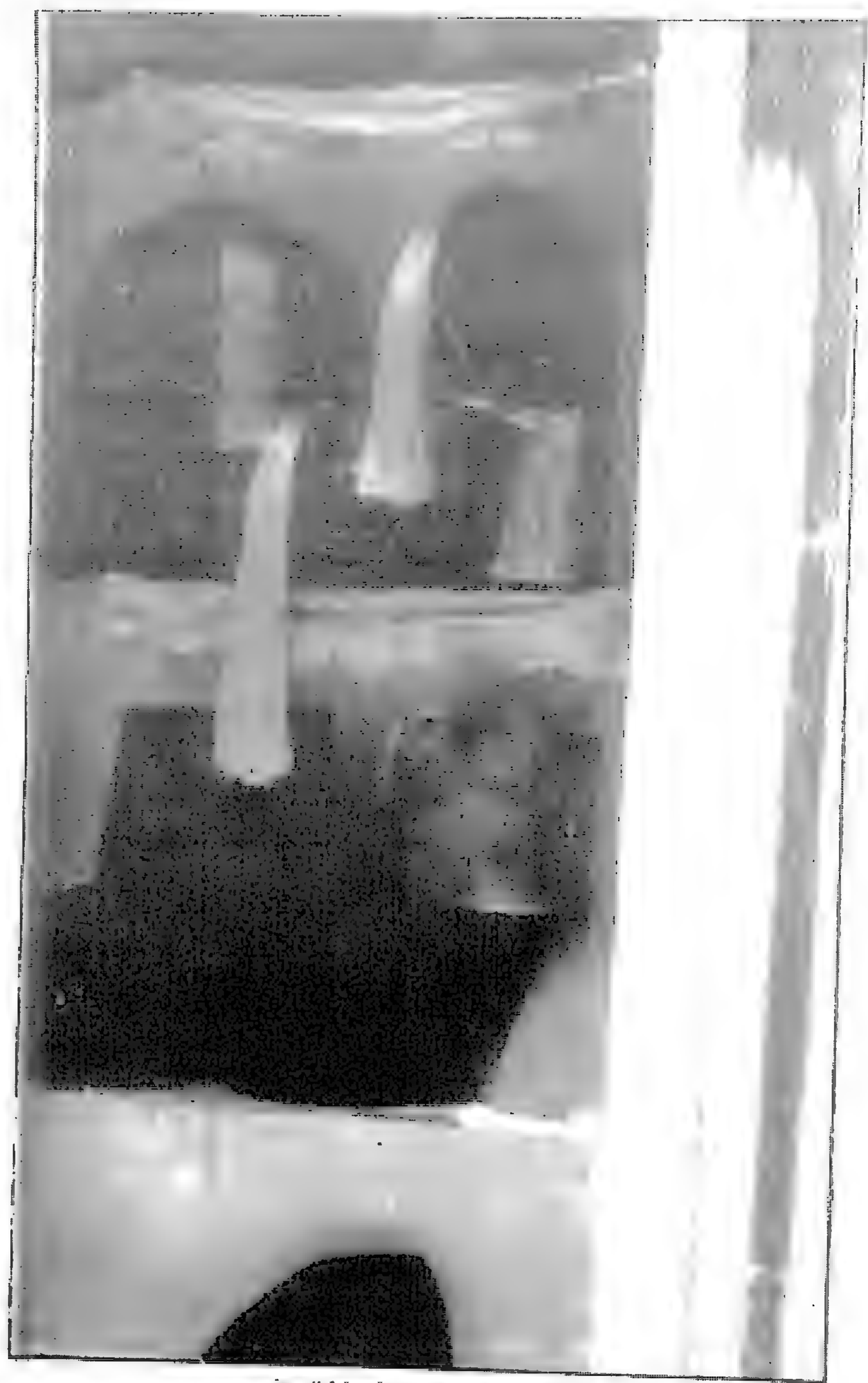
صعيدى من دشلوط :

أتأهب الآن للخروج من التربيعة وفى طريقى أتوقف أمام محل صغير لبيع الأقمشة وقفت أمامه سيدة تقيس ملاءة لف سوداء حريرية تمهيدا لشرائها ..

● صاحب المحل عم عبدالصبور عبدالفضيل عبدالباقى صعيدى من دشلوط محافظة أسيوط قال لى إنه يبيع الملاءة اللف بجانب الأقمشة الشعبية فمازال هناك من ترتديها وترتدى معها برقع الوجه بالقصبة التى كان زمان ذهب خالص ويبيعها الآن عم عبدالصبور قشرة ذهب باثنين جنيه ونص .

● لهجة عم عبدالصبور الصعيدية الخالصة لم تتغير رغم الخمسة وخمسين عاما التى قضاها فى القاهرة ..

● قال .. أنا أول واحد إدليت هنا م البلد والباق جم ورايا .. فى الأول كانوا يستعيبوا يقولوا بلدهم دلوجت بيبجى العمد .. وولد العمد يتاجروا فى مصر ..



الطرابيش مازال لها وجود في حارة التربيعة .

- تجولى الصعيدى طبعه حامى كيف ما تسمعى ..؟؟
- دلوجت الصعيدى باله طويله عاد .. كان الأول بده حد يكلمه يفزع عليه بالسكين .. لكن دلوجيت الدنيا هديت والتعليم بجى كتير ..
- شفتى التعليم عمل ايه فى الولد محروس أخو حميدة فى التمثيلية ..؟؟.. هراس كان بده يجتل الولد محروس التعليم نور له عقله .. رفض الجتل وخد حجه بالراحة من جاتل أبوه ..!!
- إكده أحسن من التار .. عايترمى فى السجن وهو اتعلم وانصرف عليه .. كيف يروح ده كله بلا فايده .. العلم نور .. ونا عندى ابن بنتى رائد فى البوليس .. وابن ابنى الثانى حسين حاييجى وكيل نيابة بإذن الله ..

* * *

- وكانت كلمات عم عبدالصبور الصعيدى المتنور هى أجمل ختام لهذه الرحلة فى شارع التربيعة والفحامين زمام حى الأزهر العريق .

....
....
....
....

درب اللبـــانـة



فى درب اللبانة بحى القلعة يعيش رجل عظيم أنكره الكثيرون وجحد فضله الكثيرون لكن ذلك كله لم يستطع أن يصرفه عن حب مصر .. عشقه الأكبر .. والوحيد فهو بلا زوجة .. ولا أبناء ..

حياته كلها عبارة عن حلم طويل متصل ببسطاء مصر .. وفلاحى مصر وقرى مصر ..

ومازال وهو يبدأ عامه الواحد والثمانين قادرا على الحلم ورؤية الآمال البعيدة ..

درب اللبانة حارة تحيط بها المساجد الأثرية الرائعة وتجاورها قلعة محمد على .. وقلعة صلاح الدين وفى مواجهة القلعتين يعيش المصرى العظيم والمهندس الفذ حسن فتحى فى بيت الفن هناك أو دار الملطيلى التى بنيت فى القرن الثامن عشر على أبدع طرز فن المعمار الإسلامى ..

أثناء حديثى مع الناس فى درب اللبانة كان كل منهم يذكر حسن « بيه » ويدعونى لمقابلته مثلما كانوا يوجهوننى إلى أهم معالم الحارة الهادئة الوادعة المرتفعة عن ميدان القلعة كأنها فوق سفح صغير ..

لحارة درب اللبانة شكل خاص .. وطابع خاص .. وموقعها فريد .. فهى تطل من ناحية على قلعة محمد على ومجموعة المساجد الرائعة المجاورة .. ومن طرفها الآخر تطل على ميدان القلعة وأول شارع محمد على .. وتعلو بكثير عن مستوى ماتطل عليه حتى أننا لابد وأن نصعد سلالم كثيرة من كلا الناحيتين حتى نصل إليها .. وعندما نصل إليها فهدوءها ملحوظ للغاية وأهم مايميزها أن مبانيها كلها عبارة عن مساكن أهلة بالسكان وليس بها غير أربعة دكاكين لاثنين من النجارين وصانع لمنتجات خان الخليلى وبائع جاز .. وليس بها عمارة حديثة على الاطلاق بل إن أحدث بيت فيها لا يقل عمره عن ستين عاما ومع ذلك فمازالت مبانيها قوية صامدة لم يؤثر فيها الزمن بعد ..

يقع بيت الفن أو دار الملطيلى فى أول الحارة تماما يواجهه بيت أثرى آخر تهدم الآن ولم يبق منه غير باب وجدار كان فيما مضى وحسب ما تذكره كتب التاريخ «تكية» لإيواء فقراء «الأعجام» منذ القرن الثالث عشر أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وظلت قائمة بواجبها نحو «فقراء الأعجام» حتى ما يقرب من تسعين عاما مضت .. وكان إيرادها فى كل عام .. ألفان وثلاثمائة وثمانية وستون قرشا كما ذكر على باشا مبارك .. كانت تكفى لكسوة وطعام وشراب وراحة ورفاهية كل فقير من الأعجام يأوى إليها ..

أما حارة درب اللبانة نفسها فقد كان لها باب يغلق عليها أفاض المؤرخون فى وصف جماله وحسن عمارته .. ولم يبق له أثر الآن ..

لم يمهلنى سكان درب اللبانة حتى أبدأ الحديث معهم فالحارة من فرط هدوءها وخلوها من المارة تظهر على الفور أى غريب بطرقها لذا تقدم إلى أحد النجارين اللذين يشغلان المحلين الواقعين على يمين المدخل يسألنى عما أريد ..

وفى محله الملىء بقطع الأثاث الدقيقة الصنع قال عبد الرحيم حسين ..

- سبب تسمية درب اللبانة إن كان فيه هنا من زمان عيلة بحالها بتتاجر فى اللبن ومنتجاته .. كانت تقريبا بتمون نص القاهرة .. ده زمان طبعا قبل القاهرة ما تبقى ٨ مليون ..
- أنا هنا فى درب اللبانة من زمان .. جار بيت الفن ده ..
- يا سلام على الخشب والنجارة .. ده فن كله بدع وابتكار .. منى عينى نرجع للفن القديم فى النجارة ده أصلنا وتاريخنا .. والواحد لما بيطلع حتة أرابيسك أو خشب معشق بيقول بصحيح أنا عملت .. لكن آه من قلة الإيد العاملة بقت مشكلة المشاكل ..
- على فكرة فيه واحد مهم أوى فى بيت الفن لازم تتكلمى معاه بدال حاتكتبى عن درب اللبانة .
- حسن بيه فتحى ده مهندس عظيم أوى .. وراجل أمير ينزل الصبح يحيينا ويسلم علينا .. وبيقولوا إنه ماسك شغل فى جميع دول العالم بس يا خسارة مصر مش معترفة بيه ..



حسن فتحى

عاشق عظيم لمصر ..

لم يجد فيها حظه ...

- أبدأ الآن فى الاتجاه لداخل الحارة الهادئة عندما يستوقفنى محل آخر ملىء عن آخره بسرج الجمل الخشبى المطعم وبالتحف الخشبية بالصدف التى يتميز بها خان الخليلى .. وفى داخل المحل الصغير كان هناك رجل فى حوالى الخمسين من عمره بمفرده وسط هذه الأكوام من التحف الصغيرة المنمنمة ..

محمد أحمد الأشقر صاحب هذه الورشة الصغيرة فى الثالثة والخمسين من عمره .. فى ورشته هذه هو كل شىء هو صاحبها ومصممها والعامل الوحيد بها .. هو يشكل الخشب ويدهنه ويطعمه بالعاج أو الفضة أو الصدف ويحمله أيضا للبازارات فى الخان ..

- قال .. أنا الأشقر الشهير بالسنى .. أصلى كنت مربى دقنى زى دقن كاسترو بالضبط .
- نظرت إلى وجهه الحليق تماما وقبل أن أسأله أين ذهبت قال ..
- فضلت أربيها سنين واعتنى بيها لغاية ماجيت اتجوز مافيش ولا واحدة رضيت بيا .. كل ماعروسة تشوفنى تلاقينى بالدقن أكبر من ابوها وبعدين اتكلت على الله وحلقتها .. قبلتنى أول عروسة رحت لها ..
- أنا كنت باتعامل مع واحد خواجة فى بيت الفن كان اسمه الخواجا ميلو كان فاتح شقة فى بيت الفن للسياح زى كده ولامؤخذة نادى ليلى شرقى وكان ياخد منى البضاعة اللى اعملها .. وبعدين الخواجا مشى دلوقت .. وفيه حسن بيه ده جارنا من زمان .. راجل سكره وبيقولوا عليه مهندس عظيم أوى .. بس انا معرفش بصراحة بنى أيه ..؟

العـودة للقـديم ..

الحارة تمتد الآن هادئة ساكنة تحت شمس الظهيرة وقد أرجئت زيارة بيت الفن حتى أستكشف بقية الحارة ..

أحد منحنيات الحارة ينتهى بما يشبه الشرفة الواسعة ولها سور حديدى يطل على ميدان القلعة ويتفرع من الشرفة سور حديدى ينحدر إلى الميدان ..

فى هذه الشرفة وقفت أتأمل الميدان الواسع الرحيب تحيط به المآذن والمساجد الرائعة من كل جانب .. وغير بعيد كان يبدو شارع محمد على مزدحما بالناس ينحدر هابطا فيه الترمواى العتيق ..

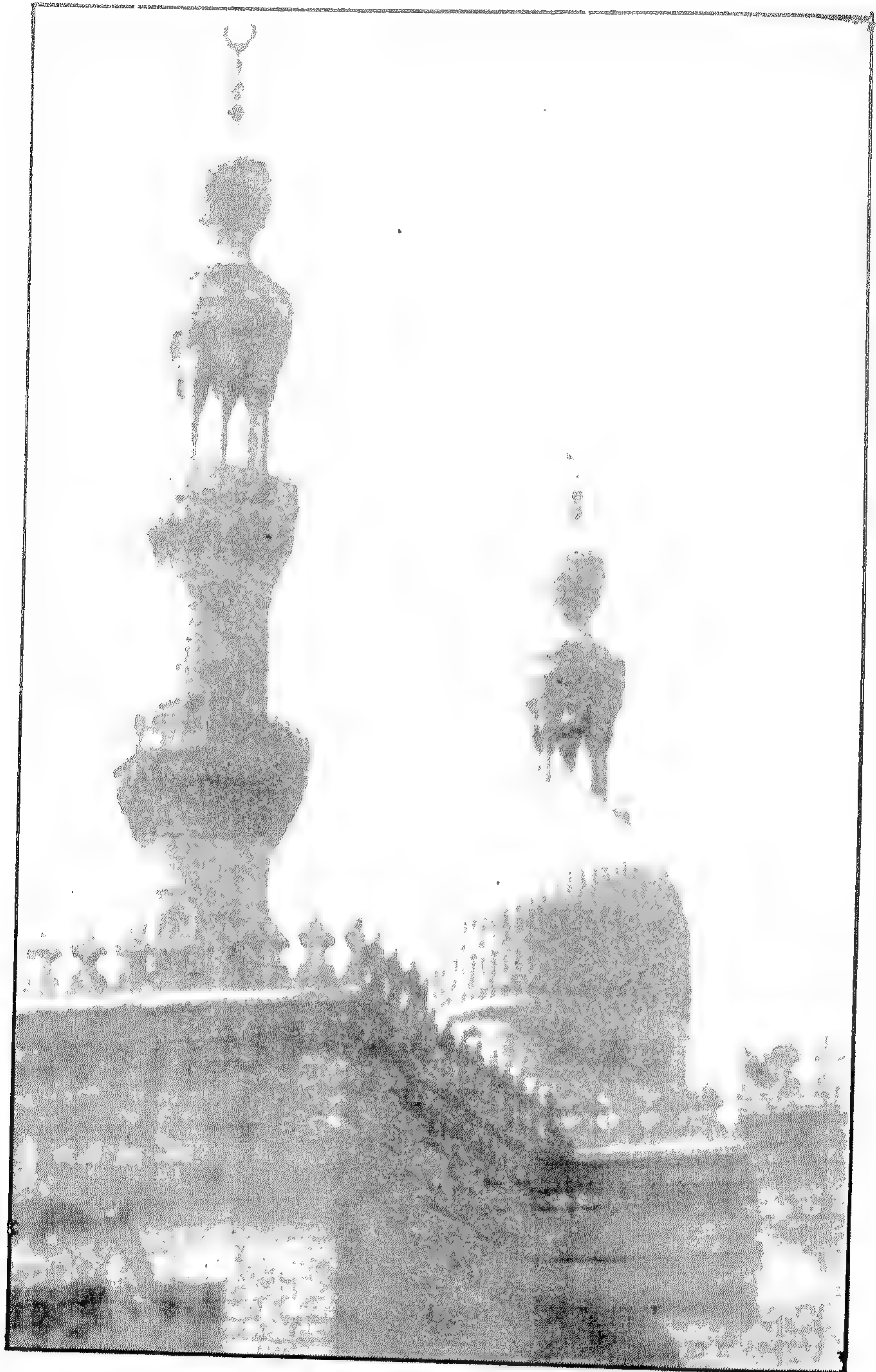
تطوع سعد حسين من سكان الحارة بأن يدلنى على نهاية حارة درب اللبانة قال ..

- أنا صحيح عندى ١٦ سنة بس لكن فخور أوى بجوار بيت الفن .. أنا دخلته من جوه واتفرجت عليه وسحرنى العفش الجميل اللى جواه .. صحيح الإيدين المصرية عظيمة ..
- أنا حبيت أوى العفش اللى جوه لدرجة إنى اتمنى لما يبقى لى بيت إنى أعمل زى كده ..
- أنا من مواليد درب اللبانة .. واحب درب اللبانة جدا لان له شكل تانى غير بقية الحوارى .. وباخطط لمستقبلى إنى أكون مهندس تبريد وتكييف ..
- فى الصيف باشتغل صبى فى ورشة عشان اتعلم الصنعة لغاية ما اتخرج من الجامعة ..

قاهـرة القـرن ١٨

أمام بيت الفن تماما لمحتها تنصب لوحة الرسم وتتهيأ للرسم متطلعة إلى واجهة البيت بتمعن :

قالت آمال حسين طالبة بكالوريوس الفنون التطبيقية إنها تستعد لرسم واجهة بيت الفن كنموذج لعمارة القاهرة الإسلامية فى القرن الثامن عشر وهو ما اختارته ليكون مشروعها للبكالوريوس ..



ل درب اللبانة مآذن الفن الجميل .

آمال رغم سنواتها الإثنين والعشرين متحمسة تماما للقديم ..

قالت .. تصورى لما يكون لنا طابع خاص فى العفش والديكور ..!! لما أى إنسان يدخل البيت يعرف على طول إن البيت ده مصرى على طول ..

- أنا باحلم باليوم .. اليوم اللى نستوحى فيه كل أثاث بيوتنا من تاريخنا وتراثنا بدل اقتباسنا من كل بلد فى العالم ما عدا بلدنا ..
- البيت المصرى حاليا أشتات من كل جنسية ده طقم فرنساوى .. ودى أودة انجليزى .. وده أنتريه مودرن .. مفيش طابع خاص بالمرة .. حتى شركات القطاع العام بتساعد على تبريد الطابع المصرى ..
- لو إن شركات القطاع العام إبتدت بتوفير أثاث له طابع عربى وإسلامى فأنا متأكدة إن الإقبال حايكون شديد على المنتجات دى لإن القطاع الخاص لما يصنعها بالطلب بتكلف غالى أوى ..

* * *

كانت مشربيات بيت الفن الدقيقة الصنع فى الواجهات تنعكس داخل عيون آمال وهى تتكلم بحماس وكأنها تجسد حلمها حقيقة داخل العيون الشابة المتحمسة .

* * *

حســـن فتـــحى أخيـــرا ..

اقترب الآن من بيت الفن ..

على بابه يجلس عجوز استقبلنى بترحاب بالغ وقال لى إنه شعبان على خاطر حارس بيت الفن منذ خمسة عشر عاما ..

فى الثمانين من عمره .. عمل حارسا لبيت الفن بعد إحالته للمعاش وكان عاملا فى البلدية ..

قال عم شعبان .. البيت ده من وقت الأغا أيام التراكوه ما كانوا ماسكين هنا فى مصر .. ونا أول ما مسكت هنا حراسة البيت جابنى الخواجة « ميلو » اللى كان ساكن فى الشقة الوسطانية وكان بيعمل حفلات وهيصة للسياح ..

لكن بقى من غير مؤاخذة طلع جاسوس فى حرب ٦٧ والحكومة طردته .. ولما مشى جه الأمير صدر الدين خان وأجر شقته أصله كان انعزم مرة عند الخواجه وعجبه البيت والحارة ..!!

* * *

وجهتى الآن إلى الطابق الأعلى من البيت حيث يسكن المهندس حسن فتحى ..

يقودنى إلى أعلى عم شعبان عبر سلم من الحجر وأمر فى طريقى على مشربيات وأبواب رائعة الصنع والجمال حتى أصل إلى الدور العلوى فيسلمنى إلى كريمة التى تشرف على بيت حسن بيه ..

فى صالة كل ما فيها عربى .. إسلامى الطراز أجلس فى انتظار حسن بيه الذى كان بالداخل يصلى ..

لا شيء فيما حولى حديث أو يمت إلى أيامنا الحالية بسبب .. حتى الأبسطة على الأرض من النسيج اليدوى على الطراز العربى .. وأشغال الرخام والنحاس تملأ المكان .. وليس هناك ما ينتمى للعصر الحديث غير آلة التليفون السوداء التى تقبع على صينية عربية من النحاس الأصفر ..

أطل حسن بيه على الصالة قادما من الداخل ..

عجوز ممشوق القوام . منتصب القامة .. يقترب بخطوات ثابتة ..

كان التهيب قد أخذ منى كل مأخذ وهو يقترب ..

هذا هو الاسطورة الهندسية التى بنت قرية القرنة فى الأقصر فى الأربعينات بحسابات دقيقة فى الفن الهندى لينتقل إليها أهالى الجبل بعيدا عن الآثار .. لكن خصومه حكموا عليه وكان حكمهم قاسيا .. فبعد ان فرغ من بناء القرية كما أحب وكما صور له طموحه الهندسى حكموا بأن تظل خالية من السكان بعد أن نشروا الإشاعات والأقاويل حولها .. وقدم حسن فتحى للتحقيق بتهمة الإبداع الهندسى والفنى وظلت قرية القرنة خالية تشهد على عبقرية مهندس أحب وطنه وبنيه .. وعلى وضاعة نفوس حاقدة ..

ضاع منى خيط الحديث عندما رفض المهندس حسن فتحى أن يتكلم عن نفسه أو نشأته أو عن أى شيء خاص به عدا أنه من مواليد عام ١٩٠٠ أى يبلغ من العمر الآن ثمانين عاما ..

● قال .. ماذا يفيد الناس من معرفة شخصيتى وماذا أحب .. وماذا أكره .. يستفيد الناس أكثر لو عرفوا شيئا عن حلول مشاكلهم .. ونوعية تفكيرى وجهدى المتواضع من أجلهم ..

بدون أن يذكر أسماء مضى حسن بيه فى حديثه الذى جعلنى أنصت صامتة دون أن أقاطعه لسؤال ..

كانت قيم التسامح .. والعلم .. والإيمان العميق وعظمة العلماء تسرى من حولى محسوسة مع الكلمات التى كانت تخرج بطيئة واضحة من فم حسن بيه ..

لم يذكر أحدا بسوء وإنما قال سامحهم الله جميعا .. ولم يتهم أحدا ممن عوقوا مشروعاته ووقفوا فى طريقه دائما .. التمس لهم العذر .. ولم يسمح للمرارة أن تلون حديثه الطويل وإنما قال جملة واحدة فى سياق حديثه كان هى الخلاصة الواضحة والتى جعلتنى أحنى رأسى تحية واحتراما ..

● قال : كان ومازال عندى دائما حلول لبلدنا فى مجال الإسكان .. لكن الوضع الذى كان بالنسبة لى دائما .. كأن مصر دى أمنا جميعا مريضة والدوا موجود لكن إخواتى بيمنعونى إنى أسقيها الدوا ..!!!

لا كرامـــــة لنـــــبى

وتكلم المهندس المصرى العظيم حسن فتحى وأنا أنصت ..

● هناك إحصائية للأمم المتحدة منذ ١٥ سنة تقول أن هناك ٨٠٠ مليون نسمة من فقراء العالم الثالث محكوم عليهم بالموت المبكر بسبب سوء السكن .. هذا بخلاف سوء التغذية بالطبع ..

● هؤلاء الفقراء كانوا هم عائلتى الحقيقية على مر السنين الطويلة .. فكرت فيهم دائما وفيما يمكن أن أقدمه لهم ..

● أفكارى كانت بسيطة كبساطتهم وسهل تنفيذها لراحتهم لكن .. لم يكلف

أحد نفسه الاهتمام الحقيقى بهم .. لذلك كنت أقابل بالصد فى كل مكان ..

- فى بلدى مصر .. كانت فكرتى عن العمارة الريفية وإنشاء منازل الفلاحين وساكنى الصحراء أنها يجب أن تكون بالطوب اللبن وبالمواد المحلية فقط وباتباع نظامهم الخاص فى البناء الذى أثبت نجاحه منذ آلاف السنين وكان يحقق لهم تيارا متجددا من الهواء داخل البيت فى الصيف ويحتفظ بالدفء فى الشتاء ..

- لكن ذلك لم يعجب الكثيرين .. وراحوا يبنون فى الصحراء القاسية الحرارة مساكن لساكنيها بالخرسانة المسلحة التى تمتص الحرارة وترفعها داخل المسكن حتى أن تقييما علميا تم فى معهد أبحاث البناء أثبت أن الفرق بين حرارة بيت الطوب اللبن وحرارة بيت الخرسانة المسلحة يبلغ ١٧ درجة مئوية فى الصيف القاسى ..

- لم يفكر أحد فى المسكين الذى يسكن مثل هذا وكأننا نقتله متعمدين بأيدينا ..

- القباب واستخدام مساقط الهواء التى توارثناها فى العمارة الريفية منذ آلاف السنين هى أصلح أساليب البناء فى الريف والصحراء ..!! لكننا لا نستعملها رغم أن تكلفتها منخفضة للغاية لكن المادة تحكم كل شىء .. فإذا كان من يبنى سيحصل على أتعاب وربح ١٠٪ مثلا من قيمة التكلفة فليس من مصلحته بالطبع أن يخفض التكاليف من ألف جنيه مثلا إلى مائة جنيه ..

- للناس البسطاء أيضا كنت قد تقدمت بمشروع يقضى بإنشاء بحيرة صناعية بجوار كل قرية لا تتجاوز مساحتها خمسة أفدنة تمد الناس بالسمك اللازم لهم ونستطيع تطهيرها باستمرار .. لكن ذلك لم يلق اهتماما أيضا ..

القرنــة .. جــرح مفتــوح ..

مازال حسن بيه يواصل الحديث ..

- فى الأربعينات بنيت قرية القرنة فى الأقصر حسبما هدانى علمى وحبى للناس ..

- بنيتها بالطين وبطريقة القباب والقباوى وتكلف المتر المربع ٣ جنيهات وستين قرشا فقط ..

- عندما وقفت كل القوى فى وجهى بسبب هذا الاجتهاد المرفوض .. جاءنى الملحق الثقافى الأمريكى وأبدى استعداد بلده لاستقبالى هناك لأبنى عندهم ما أشاء بطريقتى التى آمنوا بها .. لكننى رفضت لأن بلدى أحق بما أقدمه ..!!

- أدرك الآن أن هذا القرار كان خاطئا .. فلو كنت ذهبت من وقتها لجاء وقت ونقلت فيه مصر عن أمريكا نفس الطريقة واستعملتها لأننا نرحب بالنقل عن الآخرين وليس بالابتكار الذاتى ..!!.. وظلت قرية القرنة مهجورة سنين طويلة حتى لا يعترفوا بنجاحها لكنها أصبحت مزارا رغما عنهم لكل المهتمين بالعمارة الريفية فى العالم .. حتى أن جامعة أثينا كانت تنظم فى كل عام رحلة لطلبة كلية الهندسة بها ليشاهدوا القرية كنموذج للعمارة الريفية الكلاسيكية ..

- قرية أخرى بنيتها فى قرية باريس بالواحات الخارجة على نفس النمط .. استعملت فيها مساقط الهواء حتى أنه عند عمل بحث لسرعة الهواء فى المخازن الأرضية بلغت سرعته مترين ونصف المتر فى الثانية الواحدة فى قلب الصحراء القاسية الحرارة وكانت القرية تضم سوقا مساحته ٢٢٠٠ مترا مربعا تكلف فقط ١١ ألف جنيه .. لكن .. لأن استراحة مدير المنطقة ومساحتها ٢٠٠ متر فقط كانت تبنى فى نفس الوقت بالطرق الحديثة وكانت قد تكلفت ٣٤ ألف جنيه فقد أوقفونى عن تكملة القرية واستخدموها فيما بعد كمعتقل لمهربى الحشيش ..!!..

- لا أستطيع أن أقول أكثر من أننى كمهندس .. طالما أملك القدرة والوسيلة لراحة الناس فإن الله لا يغفر لى مطلقا أن أرفع الحرارة داخل البيت ١٧ درجة مئوية متعمدا .. هذا أمر أحاسب عليه كإنسان قطعا أمام الله ..!!

- فى وقت ما تمكن الألم منى بشدة .. فدفعنى إلى الهجرة لمدة أربع سنوات .. لكننى وجدت ما هو أسوأ ففى البلاد النامية المحتاجة فعلا لخفض تكاليف البناء وجدت أنها تستخدم منحا من الدول الغنية لمساعدتها فى هذا المجال ..

ومعنى أن يتبعوا طريقتى فى خفض التكاليف واستعمال المواد المحلية أن تقل عمولات الوسطاء فى العمليات وهكذا لم أفلح أيضا وعدت إلى بلدى بعد سنوات أربع بحثت فيها عن العدل والرحمة ببسطاء الناس لكننى لم أجدهما على الإطلاق ..

● الأطماع المادية وحش شره فى كل مكان وله أساليبه المتقنة فى التغلب على أى جهد مخلص جاد .. هل من المعقول كما حدث أخيرا أن نستحضر خبراء من السويد لحل مشاكل السكنى فى النوبة ؟؟..

● البيت بالنسبة للإنسان مثل الملابس تماما يجب أن تكون مريحة مناسبة يتيح له الحركة بسهولة ويسر لكننا لا نفكر أبدا فى أن نسأل الفقير عن رغباته فى مسكن بينما نعدل ونبذل لنرضى الغنى حين نبنى له ..

● كان هذا الفقير وراحته فى بيته هو قضيتى طيلة سنين حياتى .. وإذا كنت لم ألقى التقدير على الأرض فهذا لا يهم .. لأننى أوجدت سببا لوجودى فى هذا العالم وعملت من أجله بإخلاص .. والذى يكافئنى على هذا هو الله سبحانه وتعالى .. وليس المخلوق ..

* * *

كانت هناك مساحات لم أستطع الاقتراب منها فى شخصية « حسن بيه » .

كنت أشعر بوضوح أن الاقتراب منها يمكن أن يفتح جروحا نائمة .. منها عدم زواجه واغترابه عن حياة الأسرة والبيت ليذوب فى عالم الهندسة والحلم الدائم الطويل من أجل البسطاء والفقراء من الناس حتى نسى نفسه تماما طيلة هذا العمر الطويل ..

هل ندم على ذلك يوما ما ..؟؟

هل تشوق يوما فى رحلته الطويلة للبيت والأولاد ..؟؟

هل يعانى من الوحدة أحيانا فيود لو يعود الزمان ليسلك طريقا آخر غير ما اختاره لعمره الطويل ..؟؟

أسئلة كلها ظلت بغير جواب لأننى لم أجرؤ على توجيهها .. وخدش الجلال الذى يحيط بحسن بيه ..!!

لكن .. وفى الثمانين من عمره فإن المهندس حسن فتحى يفعل الآتى :

يشارك فى إنشاء معهد للتكنولوجيا المتوافقة فى استخدام أساليب البناء مركزه الرئيسى فى كورسيكا وله فرع فى مصر لخدمة بلاد العالم الثالث ..

يبنى قرية فى سنتافى فى نيومكسيكو بالطوب اللبن على غرار قرية القرنة ليبنوا على نمطها فى جميع أنحاء البلاد لأنها تتوافق مع جوهم وسيأخذ معه بناءين مصريين ليعلموهم طريقة البناء التى استخدمت فى القرية والتى أنكرناها هنا وعاقبنا حسن فتحى عليها طويلا .. طويلا .. بطول عمره ..

المهندس حسن فتحى يحمل الدكتوراه الفخرية من أكثر من ست جامعات فى الخارج ويدعى بصفته الشخصية إلى أى مؤتمر دولى للهندسة أو البناء أو الاستيطان .. لكن نقابة المهندسين المصرية لا تعرف له عنوانا على الإطلاق .. ولم يمثل مصر رسميا فى مؤتمر دولى أكثر من مرتين خلال هذا العمر الطويل ..

كتابه عن قرية القرنة ترجم إلى خمس لغات حية ويدرس كمرجع للعمارة الريفية فى جامعات الخارج ولا تعلم عنه جامعاتنا ولا طلبة كلية الهندسة شيئا ..!!

أهبط الآن إلى درب اللبانة ثانية .. ونسمة العصر قد بدأ الهواء يسرى بها .. وتفاجئنى ضجة ميدان القلعة وشارع محمد على وأشعر فى قلبى بألم هادىء ينتشر بهدوء ليشملنى كلى وأرفع عينى تلقائيا إلى نافذة علوية فى بيت الفن الرابض على مشارف درب اللبانة لأدرك فى لحظة أننى تركت جزء من قلبى مع الشيخ الجليل الموجود هناك ..

....
....
....
....
....

حارة النبوية



هنا يلتقى الدين ... والدنيا
حارة صغيرة وادعة لا تلفت النظر أبدا ...
نصفها مسقوف .. ونصفها الآخر مكشوف
للسماء .. لكنها .. تضم جوهرة غالية من آل
بيت النبى فى مصر ....!!

هى حارة السيدة فاطمة النبوية ..

سيدة أهل اليقين .. وباب تفريج الكروب للمستغيثين ... هى الطاهرة النقية بنت الإمام الحسن وأخت السيدة سكينة ... وشقيقة سيدى على زين العابدين ..

يحتضنها الحى العريق .. الدرب الأحمر فيحيط بها فى وسطه تماما ... يجتاز القاصد إليها شوارع متداخلة وحارات كثيرة حتى يصل إليها فإذا هى محاطة من كل جانب بمنافذ تنتهى جميعها إلى المقام الكريم .. كأنما أراد الناس أن يكفروا عما لقيت فى زمانها من آلام فوصفوها فى مكان القلب تماما من الحى العتيق ..

ويتغير الزمان .. وتمر الأيام ... وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته ثابت لا يتغير فى قلوب المؤمنين ...

كذلك أبدا لم يغير الزمان من معالم المكان منذ بنى عباس باشا الضريح والجامع لزهرة آل البيت فى هذه الحارة ... فبالقرب منها درب شغلان ... وزرع النوى على يسار السالك إلى درب التبانه ودرب السباع آتيا من باب الخلق عبر باب الوزير وهى نفس الأسماء لم تتغير منذ أطلقت على أماكنها من قديم الزمان .

ولو جاز الوصف بهذه الطريقة لقلت أن لمسجد السيدة فاطمة النبوية طلعة بهية تشرح صدر المقبل عليه فيتنسم نفحة من عطر آل بيت النبوة وهو يدلف إلى المسجد المتوسط الاتساع وبه ستة أعمدة من الرخام ... وعلى المقام

قبة مرتفعة ... والمقصورة من النحاس الأصفر .. وفى الخارج رحبة صغيرة مفروشة بالحصير يحيط بها درابزين من الخشب ليجلس فيها من يقومون بخدمة الضريح ...

الدنيـا تبـدأ من هنـا ..

هذا عن المسجد حيث الصلاة والدين ... أما فى الخارج فالدنيا بكل ما فيها من مغريات .

رحبة واسعة تبدأ بعدها الحارة فى جزئها المكشوف للسماء ... وفى الرحبة اصطفت عرُبات كثيرة فى صفوف وهذا هو الجراج .. نظرت حولى لعلى أجد بابا أو سقفا لهذا الجراج لكننى لم أعثر على غير العربات منها للسماء وبجوارها وقف صاحب الجراج .. شابا فى حوالى العشرين يغسل بنفسه العربات فى اعتناء .

- قال جمال اللبان صاحب الجراج .. إنه مورد الرزق الوحيد لأبيه العاجز وسبت من الأخوات .:. يتسع الجراج لحوالى عشرين عربة كلها عربات أبناء الحى فى الحارات القريبة .. ولو فتح الباب لقبول كل طلب لمبيت العربات لانسد الشارع من كثرتها .. لكنه يعرف للجوار الكريم حقه لذلك يكتفى بالعربات العشرين ..

قال جمال إن طراز معظم العربات التى يرعاها الجراج هو ١٢٨ وهناك عربة نصف نقل وثلاث عربات ١٣٢ إحداهما لصاحب مقلة لب والاثنتين صاحبهما من الباطنية ولا عمل له فى الباطنية كما أصر جمال ..

سـيده بنـت محمـد ..

- فى مدخل الحارة وعلى اليمين على دكة خشبية تجلس عجوز لا يمكن أن تكون بأى حال من الأحوال فى عمر أقل من المائة عام .. كان جسدها النحيل يرتجف فى عز الصيف من لسعة برد وتجلس فى الشمس لتتدفأ ... فى كلمات ثقيلة متقطعة قالت دون انتظار لأسئلتى ..

إسمى سيده بنت محمد ... أمى ماتت ما أوعاش عليها .. لما طفشت من مرات أبويا رحت لخالى جوزنى من « سى » محمد لبيب الله يرحمه ..

« سى محمد لبيب » إسم النبى حارسه موظف فى الكتبخانه وزمانه جاى ...
نظرت إلى السماء وقالت – لما الظهر يدن ييجى بعده بشويتين ..

مرات أبويا كان قلبها حجر .. وانا كنت عيله بنت تسع سنين أملأ صفيحة الميه من الحنفية وعقبال ما أوصل البيت يكون نصها إتدلق .. تقوم تكوينى بسيخ الحديد .. لما خالى جوزنى « سى محمد لبيب » ندرت ندر إن جبت بنت أخليها ماتشيلش الياسمينه من ع الأرض .. لكن ربنا مارزقنيش ..

- أنا مااعرفش سنى كام .. لما جيت أعمل بطاقة السكر والزيت قلت لهم اكتبوا اللى تكتبوه لكن فاكره ونا صغيره .. الباشا الكبير عرابى لما قام عمل هوجه على السلطان ربنا يسهل له ... حد برضه يقيم راسه على السلطان ..
- الباشا اللى جه بعده مصطفى كامل كان شاب حليوه الانجليز حطوا له السم ومات .. وسى محمد لبيب زعل عليه أوى .. وعيط كثير ..
- اضطررت أن أتدخل فى الحديث بعد أن أخذ التاريخ يصبح فى خبر كان على لسان سيده بنت محمد الذى بدا واضحا أنها تتذكر جيدا تاريخها البعيد ولا تدرى شيئا عن الزمن القريب ..
- سألتها عن سنها فقالت أنا ما اعرفش لكن لما مرات أبويا كانت تحمى السيخ كنت بنت تسع سنين ولما سى محمد لبيب مات كان عندى فوق التلاتين ..
- زمانه جاى سى محمد لبيب .. بيجى من الكتبخانه بعد أذان الظهر بشويتين ..
- كانت سيده بنت محمد تجلس فى الشمس قرب مسجد السيده فاطمة النبوية مثالا حيا للعمر الطويل عندما يفترس فى الإنسان كل شىء ... الصحة والقوة ... والذاكرة ... ونور العيون ...
- قال لى أهل الحارة إنها بركة الحارة وتقيم فى المسجد على الدوام وتنام بجواره عندما تقفل الأبواب ويحن عليها كل من له قلب من السكان ولا تبلى ملابسها أبدا لأن الله يرزقها دائما بالجديد قبل أن يبلى الجديد ...

مـدد .. يا سـت ..

الحارة على صغرها تحوى الكثير فرغم أنها لا تمتد لأكثر من مائة متر إلا أن بها حرفيين وتجار ودكان نجار وقهوة صغيرة وتنتهى بمصنع كبير لكل أنواع

الأثاث يمتد خارجها حتى، يصل إلى شارع الثبانه وهو مصنع الجمعية المصرية التعاونية لمنتجى الأثاث بمحافظة القاهرة .. وتلقى مأذنة مسجدِ فاطمة النبوية بظلها على الجميع ..

● فى القهوة كان عم درويش على محمد صاحبها يجلس هادئا يتمتم بورد بصوت خفيض .. يؤمن عم درويش إيمانا عميقا بأن السيدة فاطمة النبوية ترعاه هو بصفة خاصة منذ وقت طويل ... فكم مر عليه من أزمات فكان يلجأ إليها ويترك دموعه تسيل داخل المقام فلا يمر اليوم حتى تكون الأزمة قد لاح لها حل ..

آخر هذه الأزمات التى ألمت بعم درويش وهو فى السادسة والستين كانت منذ شهور عندما رماه المرض أرضا لا يتحرك وانغرست فى جنبه سكاكين تقطع فيه ليل نهار واضطر لإغلاق القهوة التى يأكل من إيرادها عشرة من الأولاد وهو وزوجته ..

فى المستشفى قالوا له إن جسمه يحتوى على حصوة كبيرة فى الكلى ولابد أن يصل إليها مشرط الجراح ..

● يقول عم درويش .. خرجت من المستشفى والدنيا ضيقة فِ وشى والعيال على وش امتحانات .. وما فيش فلوس والعملية أكلفها منين ...؟؟ دخلت على الست وعيطت وصليت لربنا ودعيت ... ثانى يوم سكت المغص .. ثالث يوم نزلت الحصوه لوحدها وارتحت من الألم ومن التفكير ... شاالله ياست ...

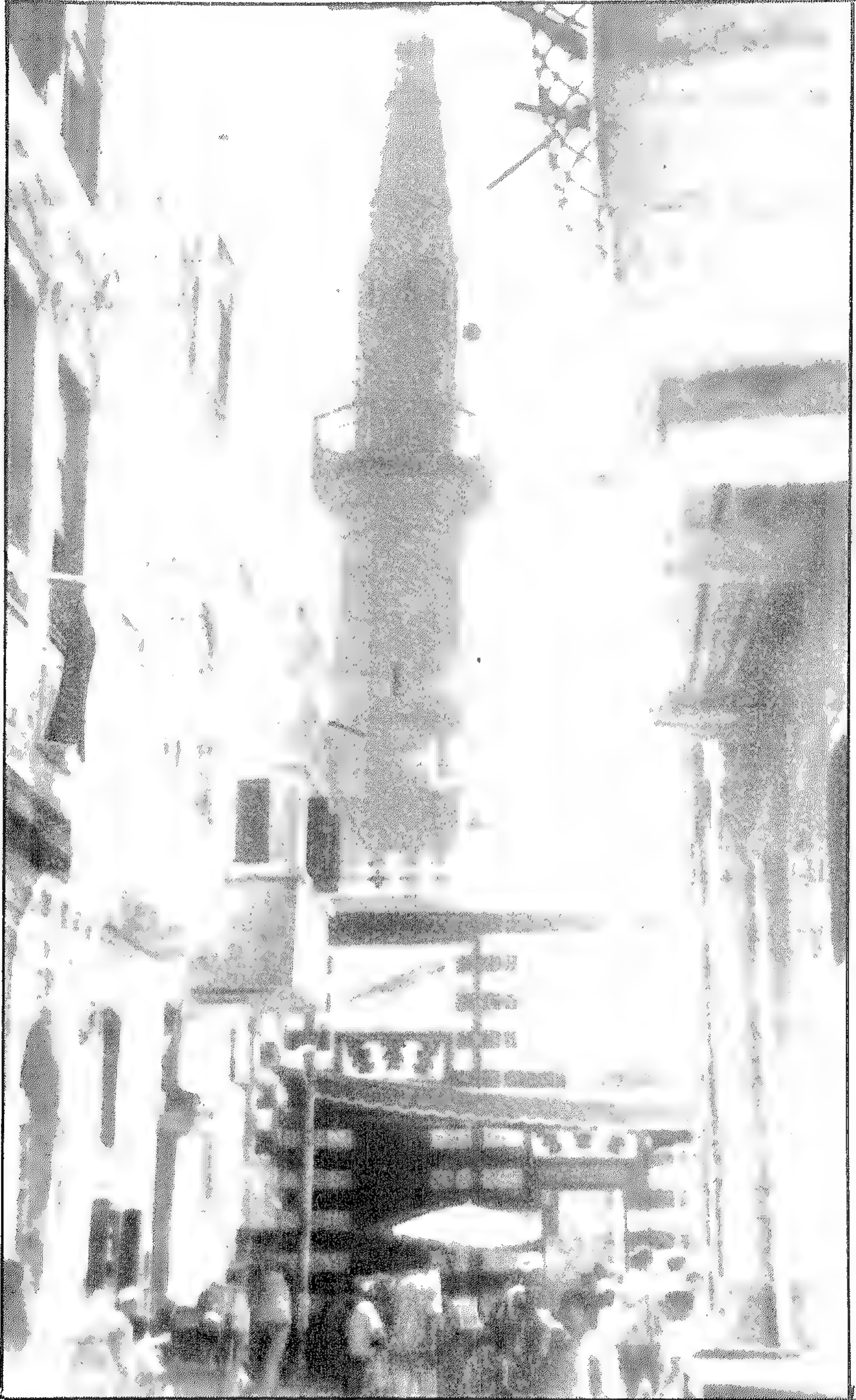
● عم درويش يؤمن أيضا بالعلم فى حياة الإنسان .. حتى الآن تخرج من العشرة أولاد أربعة فى الجامعة والباقى فى مراحل التعليم .. وكبرى البنات اسمها فاطمة .. وأكبر البنين اسمه .. حسين ..

باتا إسم شهير

● بجوار القهوة أربعة دكاكين صغيرة متلاصقة لا تزيد مساحة الواحد فيها عن متر فى متر وكلها تعمل فى تصنيع الأحذية والشباشب الجلد باليد وبآلات بدائية للغاية ..

إقتربت من أولها وكان الدكان الصامت الوحيد الذى لا يتحرك فيه إنسان ولا تعمل فيه يد .. صاحبه حنا راغب حنا كان جالسا أمام الدكان والهم يكتنفه فعنده مشكلة لا يعرف هل لها حل أم لا ..

- عم حنا يعمل فى زخرفة جلود الصنادل والشباشب النسائية التى كانت موضة منذ سنوات .. ترسل له مصانع الأحذية « الوش » فقط أى وش الصندل أو الشبشب النسائى الأنيق ليطبع عليه رسومه الملونة الفرعونية والإفريقية وغيرها من الرسوم التى كانت شائعة على أقدام النساء منذ سنوات .
- كانت الحالة آخر رواج كما يقول .. مكسب اليوم الواحد مابين ثمانية وعشرة جنيه .. لكن الحال تغير تماما منذ عامين بطلت هذه الموضة من الأحذية وانقطع الرزق وأصبح عم حنا خاليا من الشغل وهو الذى لم يتعلم فى حياته صنعة أخرى عدا النقش على الجلود ولا يدرى ماذا يفعل الآن .. مشكلة عويصة حقا فلا ذنب لأحد فيها وليس لها أيضا من حل لكنى طمأنته بأن الموضه مجنونة ويوما ما سيعود الجلد الملون المنقوش إلى أحذية النساء لكن متى ...؟ علم هذا عند الله ...
- الجدار واحد بين عم حنا والدكان الملاصق له الذى يجرى فيه العمل على قدم وساق وفيه وقف شاب متأنق يشرف على العمل وينسق قطعا من الجلد الفاتح عبارة عن الفرشة الداخلية للحذاء مطبوعا عليها باللون الذهبى كلمة « باتا » .
- كنت أظن أن « لباتا » الشهير مصنعه الخاص .. لكن سمير على عباس شرح لى أن كل أحذية باتا تقوم بصنعها دكاكين صغيرة مثل الدكان الذى يقف فيه منتشرة فى جميع أحياء القاهرة .. ويختار « باتا » مورديه كل عام من خلال مسابقة يعلن عنها ويتقدم إليها صانعو الأحذية فى كل مكان وقد رسا العطاء هذا العام على هذا الدكان الصغير ليقوم بتوريد السابو الرجالى وأحذية المدارس للأطفال ... يقوم باتا بتسليمه كل المواد الخام ويتسلم منه الأحذية جاهزة وملصق عليها أيضا إسم باتا الشهير باللون الذهبى الجميل ..



مأذنة فاطمة النبوية تحرس الحارة الضيقة

● فى المحل أيضا سمير عباس طالب فى الثانية الثانوية ويقف فى الصيف ليساعد أباه ... لكن أحلامه تبعد كثيرا عن الحارة وعن باتا وعن الأحذية بكافة أنواعها. أحلام سمير تنحصر وتتركز فى التمثيل.. يحلم كثيرا بالسينما والمسرح وبمعهد التمثيل وبأن يمثل دورا صعبا معقدا يشهره ويجعل الناس يشيرون إليه فى الطرقات كدور محيى اسماعيل فى الإخوة الأعداء ... ومن أجل ذلك يطيل سمير شعره ليبدو حقيقة كالفنانين .

نشراب الميــرى ..

فى الدكان الملاصق تماما تختلف الصورة ....

فى هذا الدكان الصغير يعمل المنشار وتتعالى أصوات الدق على الخشب وتمتلىء المساحة الضيقة بأشكال وألوان من الأثاث الضخم الجميل الذى لا يتناسب حجمه ولا شكله مع الحارة الفقيرة الضيقة .. وفى الداخل وقف شاب نحيل يرسم على الخشب بتدقيق .. من قبل أن أخطو إلى داخل الدكان عرفت على الفور لمن من المحال الكبيرة الشهيرة يعمل هذا المصنع الصغير فقد تذكرت على الفور هذه الأشكال الرائعة التى سبق أن رأيتها فى أحد محال قصر النيل الشهيرة للأثاث .. وأكد لى هذا الظن فورا الشاب النحيل فتحى أحمد عبده مدرس الحفر على الخشب بمدرسة العباسية للصناعات الزخرفية .

● قال لى فتحى ... خساره جدا سنين العمر اللى راحت فى التعليم .. لو كنت ابتديت صبى فى السوق كنت استفدت أكتر وكان دخلى دلوقت خمس أضعاف التلاتين جنيه اللى باقبضهم بعد ١٠ سنين فى التربية والتعليم ..

● أنا مدرس أويما فى المدرسة ساكن بخمسه جنيه وباركب بخمسه جنيه وباصرف سجاير خمسه جنيه يفضل من الماهيه ١٥ جنيه ... مفروض أعيش بيهم أنا ومراتى ... هل ده معقول ...؟؟ الحل الوحيد العمل الإضافى اللى باقوم بيه فى الدكان ده .. أنا وواحد نجار صاحبى بنتعاون أنا بارسم الأوده وأدق الأويما وأشرف على العمل وأبيع الإنتاج للتاجر الكبير – كما توقعت تماما – والدنيا اللى مستحيل تمشى بتلاتين جنيه نقدر نمشيها باللى

يبجى من الدكان ... ومافيش حد دلوقت مش بيعمل كده – الماهيه أصبحت هيه الإضافى والعمل الإضافى هو الأساس .

- معقول حقيقة كل ما قاله فتحى أحمد عبده .. ومعقول أكثر ما قاله عن خريج المدارس الصناعية الذى يعين عادة عن طريق القوى العاملة فى أى مكان وبلا مراعاة لتخصصه الدقيق ... وبذلك لا تستفيد منه الدولة .. وقبل أن ينسى ما درسه وتدرب عليه يكون قد طار إلى البلاد العربية وتخلو الدولة من الفنيين والحرفيين .

يتساءل فتحى أيضا عن الحكمة فى هذا الوضع المقلوب .. أن نجعل الأولوية فى دخول الكليات بالجامعة لطالب الثانوية العامة الذى درس علوما عامة بينما نضع العراقيل لدخول الهندسة مثلا أمام طالب دبلوم الصنايع الذى أمضى ثلاث سنوات يتلقى مبادىء الهندسة فعلا ويتخصص فى فرع دقيق ..؟؟

المرأة تقتحم عالم الأثاث

على حافة الحارة تعلو ضجة عظيمة تنبعث من بناء كبير هو مصنع الجمعية الإنتاجية لصانعى الأثاث بالقاهرة .

- فور أن انفرج الباب رأيت خلية نحل كما يقولون .. الكل يعمل والأثاث والأخشاب تملأ المكان .. وكعادة المصريين فى احترام التسلسل أخذونى أولا إلى حمدى عبد المجيد مدير المصنع منذ عام ٦٦ قال ..

- المصنع رغم أنه يعمل بكامل طاقته ورغم أنه يبيع فى خمسة معارض بالقاهرة بسعر التكلفة زائد ١٠٪ فقط إلا أنه وحده لا يستطيع أن يسد حاجة السوق فمصر بالذات هى مصدر هام للأثاث بالنسبة أيضا للبلاد العربية بالذات علاوة على أن السعر المحلى للأثاث يرتبط بتغيرات السوق العالمية للأخشاب لأننا نستورد جزءا كبيرا من حاجتنا من الأخشاب وهذه أسعارها فى تصاعد مستمر منذ سنوات .

وبديلا عن مشكلة الأخشاب وجنون أسعار الأثاث حدثنى مدير المصنع عن تجربة جديدة بدأ فى تطبيقها منذ شهر فى مصنعه وهو تشغيله لدفعة من

الفتيات ليعملن كنجارين واستورجيه ومنجدين .. عال وهذا مجال آخر تقتحمه المرأة فى هذا العهد السعيد ..

- فى قسم دهان الأثاث بالأستر توقفت أمام ميرفت محمد حسنين وهى تنحنى أمام مائدة مستطيلة تحاول بالدعك المستمر أن تضيف لها المزيد من اللمعان بعد أن دهنتها بالجمالكه والورنيش .

- قالت إنها حصلت على الإعدادية ثم قرأت إعلان المصنع لطلب فتيات فتقدمت لتساعد والدها الساعى فى مدرسة فى تربية إخوتها الصغار ومازالت بعد شهر من العمل لا تجد العمل شاقا رغم أنها تأتى من الشرابية كل صباح لكن الثلاثين جنيها الذين قبضتهم فى يدها أول الشهر منذ أيام خففوا عنها كل العناء ..

الصنفره .. والأصابع الناعمة

- يتدخل الأسطى محمد عبده صالح رئيس الأسترجية فى الحديث فيقول إن البنات اللاتى التحقن بالقسم منذ شهر ساهمن تماما فى حل مشكلة نقص الفنيين الذين هاجروا إلى الخارج يبحثون عن الربح السريع وأنه رغم أن الصنفرة التى تحتوى على رمل وزجاج قد لحست أصابع البنات إلا أنهن لم يشتكين أبدا وإنما هو الذى أعفاهن جميعا من مرحلة الصنفرة هذه وتركها للرجال فهن وقبل أى شىء أخر بنات ...؟!!

- فى قسم التنجيد كانت واقفة ممسكة بالشاكوش تشد الشريط على كنبة كبيرة وتدق بالمسامير وكانت عيناها الصغيرتان تلمعان بالذكاء .. قالوا لى إن عزه حجازى أشطر بنت فى قسم التنجيد .. هى أيضا من شطار حيها فى الثانوية العامة فقد حصلت عزه على الشهادة بمجموع ٨٢,٥٪ ورشحها مجموعها لكلية الطب جامعة الأزهر .

- قالت لى إنها فى انتظار أن تبدأ الدراسة التى تمنتها طيلة حياتها قد اختارت أن تملأ وقت فراغها وتحصل على القرش من هذا الطريق وقد أحبت كثيرا عملها الذى تظهر نتيجته بسرعة فمن تحت يديها يخرج الخشب الخام فى شكل آخر تماما مكسوا بالقماش الجميل ..



حميده بنت محمد حضرت هوجة عرابى

● قالت عزه شيئا آخر جميلا يبشر بأدبية فى ثياب طبيب .. قالت إنها تعودت وهى تغطى الخشب بالقماش أن تنسج فى خيالها قصصا حول مصير هذا الأثاث ومن سيجلسون عليه ويستعملونه وإنها تنوى أن تنجد بنفسها أثاث العيادة التى ستفتتحها إن شاء الله بعد سنوات لتمارس فيها عملها كطبيبة أمراض باطنية وستدرس فى نفس الوقت للدكتوراه .

أم **محمد تحلم** ..

● فى قسم النجارة كانت أم محمد محمد عرباوى واقفة أمام البنك تلصق القشرة على كومودينو صغير وتدق عليها بالشاكوش وبطنها تمتد أمامها تعلن عن الحمل فى منتصف الشهور ..

● قالت إنها تعمل لتساعد عبد الحليم زوجها الذى يعمل طباخا فقد رأت أن ظروفهم المالية تعبانة شويه ولابد من الاستعداد لاستقبال عبد الحليم الصغير وعندما قرأت الإعلان تقدمت للعمل وأحبته فعلا وتعلمت بسرعة وتعلمت أيضا أن تحلم بأشياء جديدة لم تكن تجرؤ أن تحلم بها من قبل أن تقبض فى يديها مبلغ الثلاثين جنيها لكنها الآن تجرأت وحلمت بسرير صغير لعبد الحليم الصغير وبشجرة زرع بلاستيك فى ركن البيت وحله تيفال من مرتب الشهر القادم لا يلتصق بها الأرز فى القاع .

وكله يهون من أجل عيون عبد الحليم الكبير والصغير ومن أجل المزيد من الأحلام ..

الفانتــوم ينــادى القــراء ..

● خرجت من المصنع عائدة إلى الجراج أمام المقام وفى منتصف الحارة صك سمعى صوت ينبعث من ميكرفون ضخم ينادى بحماس وانفعال .

● الحادثة الفظيعة ... الوليه اللى خدت إعدام ... وحبل المشنقة هنا فى الصورة حوالين رقبتها .. المعلومات الجباره .. إقرا وافهم يا جدع ...!!

كان الزحام على أشده حول صاحب الميكريفون والكل يمد يده ليشترى منه النشرة التى يبيعها ... ووجدت نفسى أندفع أنا الأخرى لا شعوريا أشترى نفس النشرة لأعرف حكاية « الوليه اللى خدت إعدام » .. ولما خدت إعدام ...؟؟

● وفى أربع ورقات صغيرة كانت حادثة من الأسبوع الماضى منقولة بتفاصيلها وصورها من إحدى الجرائد اليومية ومطبوعة على ورق ردىء فى إحدى المطابع بالمدبح .. والناس وأنا منهم قد فتحوها وانكبوا يقرأون بشغف شديد ... واقتربت من موزع النشرة الذى كان يرتدى قبعة قديمة من الجوخ الأسود وبنطلون جينز رغم سنه الذى يناهز الستين ..

● قال .. أنا ابراهيم صالح الشهير بالفانتوم .. مافيش حد فى مصر كلها مايعرفنيش .. أنا صاحب الحوادث الجبارة اللى بيقراها الكل ... بعدما اطلع من الشغل كل يوم من جراج النقل العام فى مصر عتيقة أشيل النشره وأمشى فى الأحياء بالميكرفون أوزعها .. باكسب فى المرة عشره وعشرين جنيه ..

- النشرة دى فيها الحوادث الجبارة .. المطبعه تطبعها وتبيعها لى بستة مليم وأنا أبيعها بقرشين ولما تخلص أروح أجيب غيرها .
- إمبارح وزعت ٦ آلاف فى الدرب الأحمر والباطلية ومصر عتيقه والشرابية وفناطيس الجاز .
- أنا عندى ٦٢ سنه ... وعندى واحده ست حلوه .. وصغيره .. شوف صورتها ... « أخرج الفانتوم صورة شابة حلوه صغيرة السن متألقة » .. أبديت ملاحظة عن فارق السن الكبير بينهما فقال ..
- وماله .. مانا كان باخد ماهيه حلوه .. درجة ثالثة ماهية عميد فى الجيش ٩٣ جنيه زائد إيراد النشرة .. وبعد المعاش حاشترى عربية وافتح ورشه ..
- أنا بينى وبينك أحب الهدمه النضيفة .. والأكلة الحلوه .. والنومه النضيفة .. والراحه الكاملة .. فيه ست تكره ده كله ..؟؟..
- حاتلاقى إيه عند الشباب غير الفقر والشقا والعيشة اللى على القد ..
- عن إذنك بقى ابيع باقى النشرة ..

وانطلق الفانتوم فى طريقه كالصاروخ وبيده ميكروفون يصيح فيه عن الوليه اللى خدت إعدام وحبل المشنقة لى الصورة على رقبتها ..

- وأواصل الخطى نحو بداية الشارع حيث المسجد أدخل لأقرأ الفاتحة ... ويغيب عنى داخل المقام الهادىء الوديع كل صخب الدنيا والحارة التى تركتها ورائى ... وأقرأ فى لوح معلق على الحائط نسب السيدة فاطمة النبوية الشريف الذى ينتهى إلى سيد الخلق .. النبى الكريم .. فأهمس صادقة .. خاشعة الشفاعة ... الشفاعة يارسول الله .. الشفاعة يا آل بيت رسول الله ...

....

....

....

....

....

درب المهابيل

درب المناصره

درب المهابيل سابقا

حارة تضم مواطنين عقـــلاء.. وصالحين أيضا ..

عام ١٩٥٩ نال المخرج توفيق صالح جائزة عن إخراجه لفيلم درب المهابيل .. ومثلت برلنتى عبدالحميد فى الفيلم دور فتاة الطبقة الفقيرة التى تحاول استبدال طبقتها وفى سبيل ذلك لا تتورع عن أن تنحرف وتسقط مرات ومرات وتشترى الانتماء للطبقة الأعلى بجسدها وليس بعقلها ..

وكتب نجيب محفوظ قصة هذا الفيلم الذى ربح فيه البطل مبلغا كبيرا فى اليانصيب وما فعلت به وبالمحيطين به النقود ..

وقد الكاتب الكبير فى الفيلم نموذجا للجهل وكيف يؤدى إلى الشقاء الدائم حتى ولو أمسك الإنسان بمفتاح السعر فى يديه فيظل الفيلم لم يستطع الاستفادة من الفرصة التى جاءته من السماء فكانت النهاية التى كانت غريبة على السينما المصرية فى ذلك الحين فى لقطة مثيرة ظهرت فيها المعزة وهى تلتهم نقود اليانصيب وتترك البطل يعود فقيرا كما كان ..

كثيرون فى ذلك الوقت لم يعرفوا أن لاسم الفيلم صلة بحارة حقيقية لها وجود فعلى وتحمل نفس الإسم .

معظم الناس تصوروا أن الإسم من خيال المؤلف أو المخرج فمن يتصور ظلما أكثر من ذلك .. أن يطلق مثل هذا الإسم على مكان يضم أناس كلهم عقلاء ومواطنين صالحين .. لكن الظلم التركى الأصل الذى سمى فعلا حارة من حالات القاهرة بهذا الإسم العجيب ..

- بموازاة شارع عبدالعزيز قريبا من العتبة الخضراء تقع حارة درب المهابيل ..
- هى حارة صغيرة لا يتجاوز طولها المئتى متر وعرضها الأربعة أمتار وتمتلىء بكل ما يخطر على البال من دكاكين للحرف الصغيرة .. حتى ترزى البدلة الفراك وجد له مكانا فى درب المهابيل ..

- وهى أيضا حارة سد تلم نفسها تماما من مولد الشارع الكبير .. فهل هذا من العقل أو من الجنون ..
- تتميز حارة درب المهابيل بشيئين .. أولهما الحركة الدائبة التى لا تهدأ مع ما يصاحبها من أصوات والثانى القرب الواضح فى العلاقات .. فعلى طول الحارة الناس يجلسون طوال الوقت أمام البيوت وفى كل أوقات النهار ليتجاذبوا أطراف الحديث . يتشاجرون بعض الوقت .. ويتشاتمون بعض الوقت ويضربون أولادهم معظم الوقت .. ويعودون فى النهاية إلى تجاذب أطراف الحديث ..

أول ما قابلنى فى مدخل الحارة كان دكان صغير معتم والشمس فى وسط السماء .. بداخل الدكان أسرة كثيرة من الصاج ومن الحديد والنحاس كلها مسندة إلى الحيطان وعلى باب الدكان جلس شيخان يتناومان .. ولابد من إيقاظهما فقد وجب السؤال .. وتكلم أحدهما سيد محمد صاحب الدكان ..

- الدكانة مهمته طلاء تلك الأسرة بما يعيد إليها الحياة .. منذ ثلاثين عاما وعم سيد الذى يقترب من الستين يقوم بالنفخ فى صورة الأسرة الصاج والحديد والنحاس المحتاجة إلى إصلاح وطلاء ليختفى الصدأ تحت الدهان ويأخذ فى مقابل ذلك جنيهان ..
- يأسف عم سيد لأن أيام العز فى الدنيا قد قطعت تذكرة ذهاب بلا إياب .. فمنذ ثلاثين عاما كان يطلى أحسن سرير بربع جنيه وكان فيه البركة طارحة .. الآن زاد هذا المبلغ ١٦ ضعفا ويكاد عم سيد أن يجوع .. وأكبر الأولاد أحمد قد تخرج وأخذ « دبلون » الصنايع لكنه مازال فى البيت لم يعمل بعد ومصروفه مازال من أبيه ..
- تركت عم محمد وقد بدأ فى النوم ثانية أمام الدكان والنوم أحيانا قد يكون علاج ..

ياطـــــــــــول عــــــــــــذابى
والصـــــــــبر قليــــــــــــل

درب المهابيل حارة صوتها عال له إيقاع غريب ..

وفى لحظات تعلو الضجة فى الحارة حتى تكاد تصم الآذان ثم تنخفض الأصوات فى لحظات أخرى حتى تكاد تصبح هى والهمس سواء ..

لكن هناك أصواتا ثابتة المنسوب لا ترتفع ولا تنخفض هى أصوات ماكينات الخياطة ودق الحديد وشاكوش النجار ..

- خالط هذه الأصوات فى اللحظة التى خرجت من الدكان صوت بكاء .. بكاء عال فيه كل الحزن والقهر .. بكاء يصدر عن حنايا قلب جريح ..
- تلفتت حولى أبحث عن مصدر الصوت فوجدت ساعى البريد ببذلته وحقيبته الكبيرة ينحرف خارج من إحدى العطفات مخلفا وراءه سيدة تجلس على دكة خشبية وبجوارها عدة الشاى والأكواب واقتربت لأجدها دامعة العينية كسيرة العشمات تحمل على أكتافها ما يزيد على الخمسين عاما ..
- رتيبة على حسن قهوجية حارة درب المهابيل تعمل قهوجية بعد أن توفى زوجها لتربى الأولاد لكن ما يحز فى قلبها ويؤرق لياليها هو « حمدى » .
- همست بصوت مبحوح .. عشر سنين يا حمدى وقلبك حجر .. عشر سنين وأمك بتتقلى فى جمر النار .. عشر سنين ونا باستنى منك كلمة فى كل يوم من دى السنين .. كلمة واحدة منك يا حمدى تحيينى ترد روحى لجسمى العليل .. لكن مافيش فايدة كل يوم فى نفس الميعاد يهل عليا البوسطجى وأسأله كل يوم نفس السؤال ومافيش فايدة .
- وعشر سنين ونا أبكى كل يوم فى نفس الميعاد واعذرونى يا ناس ده الضنا غالى .. وحمدى فى استراليا من عشر سنين وكل اللى راح معاه بيسألوا عليّ أهاليهم بالجوابات .. أخر جواب بعته فى موت أبوه بيعزينى فيه .. وبعدها ما افتكرش يسأل على المرضعة اللى رضعته ولو بجواب .. أعرف أخبارك من الغرب يا حمدى ليه .. كلمة منك يا حمدى ترد روحى وتمسح دموعى .. يا طول عذابى .. والصبر قليل ..
- كان الناس من حول أم حمدى يربتون عليها بآلية شديدة وفتور أشد فقد

تعودا هذا المنظر منذ ثلاثية آلاف وستمائة وخمسين صباح وحمدى لا يأتى ولا يبعث بخطاب ..

هتفت جارة من الجارات .. إنسيه ياختى إنسيه .. !! نظرت أم حمدى إلى السماء وهمست بصوت خفيض طب بس ازاى .. ؟؟ وتدفقت مرة أخرى الدموع ..

الحيـــاة على رصـــيف

بعد أم حمدى توقفت أمام عم بلال صانع الوزة والأرنب والحصان فى حارة درب المهابيل الوزة والأرنب .. والحصان من الخشب يصنعها عم بلال ويدهنها بألوان كألوان أحلام الأطفال .. هل رأى أحد منا نحن الكبار أبدا حصانا بلون السماء والعيون حمراء .. ؟؟ وأرنبا بلون عصير البرتقال .. وبطة كلها خضراء .. ؟؟

من منا لم يعشق يوما هذه الألوان .. ومن منا لا يتمنى أن يعود الزمان .. ؟؟

- عم بلال يرسم الضحكة على وجوه الأطفال بهذه اللعبة التى يبيعها بالدستة لمحال الأطفال بسعر الدستة جنيه ونصف ويكسف فى كل دسته نصف جنيه .. لكنه لا يستطيع أن يضحك أطفاله الأربعة وأكبرهم عمره سبع سنين فلا يستطيع أربعة أن يضحكوا على الإطلاق وهم يبيتون منذ عامين كل ليلة على الرصيف ..

- حسبته فى البداية يقول على الرصيف مجازا لكنه أكد لى أنه على الرصيف فعلا ومنذ عامين حقيقة لا مجازا وأنه ينام فى الشارع بعد أن انهار بيته وحوله أثاث بيته دون سائر إلا ملاءة تحيط بالمكان .. وهذا الرصيف هو بالتحديد الرصيف الأيمن من شارع عبادة الأنصارى بالعباسية وبالتحديد أمام رقم ٤٥ ..

- لا يعرف عم بلال أن هذا العام هو العام الدولى للطفل .. قال .. ماخدش بالى من الحاجات دى آخد بالى بس من أخبار مساكن الإيواء والمساكن

الجديدة عشان ديه هيه اللى فيها الفايدة .. لكن هو العام ده عام أى طفل بالضبط .. ؟ أكيد طفل من بلاد بره عشان بيطلعوا فى الصور كويسين ..

- رفض عم بلال أن يدعنا نصور حياة أسرته على الرصيف وانحنى على الخشب من جديد يهذب ذيل الحصان ويلونه بلون أحلام الأطفال ..

الترزى الوحيد

على اليمين فى الحارة دكان عليه لافتة كبيرة مكتوب عليه بخط كبير .. فرج محمد الشامى الترزى الوحيد .. ترزى الفراك ..

على الفور كانت خطواتى تقودنى إلى داخل الدكان .: فى الصدارة تماما معلقة بذلة فراك سوداء كالتى نراها فى الأفلام لكنها أكل عليها الدهر وشرب حتى بليت من كل مكان ..

- عم فرج الشامى واقف بجوارها يشير إليها بمسطرة طويلة بفخر شديد فهو الوحيد كما قال الذى يملك ويقدر على صنع هذه البدلة المعقدة التى كانت تستعمل فى السهرات الرسمية أيام زمان والتى لا يستطيع كما قال أن يصنعها أى من ترزية هذه الأيام ..
- يصنع عم فرج أيضا وبكل فخر روب المحاماة والبدلة الردنجوت السوداء ..
- لكن فين أيام زمان ..؟؟ لم يعد عم فراج يصنع أيا من الأردية الثلاثية إلا كل سنين .. فروب المحاماه لم يعد أى من السادة المحامين يقدر على تكاليفه ولم يعد أحد يعنى بأن يرتديه مع الطربوش الأحمر الجميل .. المحامى النهاردة بيأجر الروب فى أى محكمةٍ بربع جنيه .. لكنه ورغم ذلك لا يتنازل أبدا إذا ما جاء الزمان بأحد المحامين يطلب صنع روب عن أن يتقاضى فيه ستين جنيها كاملة .. أمالً .. الصنعة لها أصول ..
- أما الفراك والردنجوت فلا يتذكرهما أحد فى هذه الأيام غير ممثل يتقمص دورا فى فيلم يعود إلى القديم ويريد أن يسبك الدور .. مع أنها كانت رداء العريس الرسمى فى أفراح العشرينات وحتى الأربعينات كما كان الردنجوت لازما لكل الوزراء ولكل عظيم يذهب فى العيد أيام الملك إلى قصر عابدين ليكتب إسمه فى سجل التشريفات ..

- كان عمد الأرياف الذين يأتون خصيصا ليدفعوا المعلوم طمعا فى رتبة البكوية يجدون ولعا فى ارتداء الردنجوث والتقاط الصور العديدة بها .
- عم فرج الآن يعمل نصف الأسبوع فى عمل البذل العادية للرجال والنصف الآخر فى تفصيل فساتين النساء ويتمنى بشدة لو أن حارة درب المهابيل تقيم ناديا أو مركزا للشباب يضم بين جنباته هؤلاء الأولاد الأبالسة المهابيل الذين يملأون الشارع بالصراخ ..

ومازالت الحارة تحوى الكثير من الدكاكين والكثير من الصراخ ..

* * *

لماذا .. درب المهابيل ..؟

قصة الإسم الغريب للحارة العاقلة جدا رواها لى الكثيرون وكلهم اتفقوا على نفس القصة وإن اختلف الأسلوب .. ولنسمعها بأسلوب عم فرج الشامى ترزى البدلة الفراك. فقد كان أطرف من رواها بثقة شديدة من صحتها ومن الأسماء ..

- بأسلوبه الخاص قال عم فرج .. المنطقة دى كان زمان إسمها « ترب المناصرة » – هذا حقيقى ووارد فى كتب التاريخ – وكان على مصر ملك تركى من بتوع الكرابيج وكان الباشوات فى البلد أكبر م الهم ع القلب .. تيجى ساعة العصرية من هنا يخرج اتنين من الباشوات راتب باشا وشريف باشا يتمشوا .. يقابلوا بعض .. شريف باشا يقول لراتب باشا رايح فين ..؟ يقوله رايح أشوف الناس اللى بتضرب الدف فى ترب المناصرة دول بيدعوا علينا على ضرب الدفوف – كانوا يقيمون حلقات ذكر عصر كل يوم فى المكان – يقوم شريف باشا يقوله سيبك منهم يا شيخ دول مهابيل .. بس يا ستى طلعت على الحتة إسم درب المهابيل ..
- على فكرة الحتة دى مشهورة فى الفن كان .. طلع منها محمد عبدالوهاب ومحمد رشدى والأستاذة أمنية رزق ويوسف بيه وهبه .. كان بيجى نعقد هنا على قهوة التجارة .. والأستاذ محمد عبدالوهاب لوخ يسمعنى دلوقت يقوم هو يعرف إنه كان بيشتغل عند أسطى أحمد شلبى أسطى الأفراح ..





وفى درب المهابيل سبع صنايع .. والبخت عال العال

السمك الكبير .. يأكل الصغير

عم فرج ليس الترزى الوحيد من النوع الخاص الذى فى الحارة فبعده بعدة بيوت دكان آخر لمحمد توفيق ابراهيم ترزى بدلة كل الناس .. لكن محمد توفيق يعمل لحساب الترزية الكبار فى قصر النيل وعبدالخالق ثروت وشارع شريف ..

- يصنع محمد توفيق البدلة كاملة للترزى الكبير بمبلغ ١٥ جنيه ليقبض فيها الترزى الكبير من خمسين إلى ثمانين جنيها .. كنت أظن أن هذه اللعبة من الترزية الكبار مقصورة فقط على البنطلون لكنه أوضح لى أن هناك تخصصات .. فهناك ترزية صغار فى الحوارى يصنعون فقط البنطلون .. وهناك آخرون يصنعون البدلة كاملة ومنهم عم توفيق الذى يأتيه القماش ومعه مقاس الزبون فيقص القماش ويرسله إلى الترزى الكبير ليقيس الزبون أول بروفة ثم تعود إليه ثانية فيضبط البدلة تماما لتشر الترزى الكبير فى البروفة السكوندو ثم يتم عم توفيق تشطيبها ويذهب بها جاهزة تمام للأسطى الكبير الذى لا يتورع عن تأنيبه بشدة إذا ما اكتشف فيها أى تقصير فيجب على ترزى حارة درب المهابيل أن يحلل القرش الذى يقبضه ويا ناس عيب خلى عندكم ضمير ..

- يعلن عم توفيق صراحة أن لا فكاك أبدا من هذا الوضع العجيب .. وتحليله مضبوط .. فالترزى الكبير يضمن للصغير موردا ثابتا لا يتأثر بتقلبات السوق ولا يدعه فى انتظار الزبون .. فعلى الكبير بكل إمكانياته جذب الزبون وتقديم الشغل إلى الصغير .. ولك شىء وله ثمن وعلى الصغير أن يدفع من جهده وعرقة ثمن انزواءه فى حارة صغيرة واسمها أيضا درب المهابيل ..

- يذكر عم توفيق بكل مرارة أنه ظل يتعامل منذ عام ٦٣ مع ترزى كبير فى شارع شريف ثم طلب منه هذه الأيام أن يزيد من أجر البنطلون مبلغ خمسة عشرة قرشا فقط فقال له بكل هدوء لا واتفضل غير موجود وانت ما تنفعنيش .. !!

- حقيقة البحر فعلا ملىء بالسمك الصغير الذى يأتى طواعية واختيار حتى فم السمك الكبير المفتوح على الدوام ..

فى الحظيرة آلاف الجنيهات

- أصل الآن إلى نهاية الحارة السد وقبل أن تنتهى وتنسد فيها عدة أشياء .. فنهاية الحارة تضم زريبة للمعيز هى التى ظهرت فى فيلم درب المهابيل وفيها مصنع صغير للمواسير وفيها بيت قديم وقع نصفه ومازلا نصفه الآخر يتحامل على نفسه يتحين وقتا مناسبا للسقوط ..
- إلى الزريبة الشهيرة دخلت أولا .. سقفها منخفض لكنها متسعة المساحة . والمعيز قد اختفت منها وظهرت مكانها موبليا على أحدث وأفخم طراز ..
- بجوارها قبل أن تزين الفاترينات وحجرات الشقق الحديثة التى لا أدرى كيف تتسع لمثل هذا الاثاث الضخم الكبير ..
- سيد إمام إستورجى يهيىء الأثاث من حالة كونه خشبا خاما إلى نيل رضا التاجر والزبون ويبدو راضيا تماما عن وجوده السعيد فى زريبة درب المهابيل ..
- يقول .. ضربة حظ وحياتك يا مدام إنى ألاقى مكان متسع زى ده وبخمسة جنيه وستين قرش فى الشهر .. فى الشتا دفا وفى الصيف طراوة ..
- عم سيد صريح للغاية .. يقول إنه يدهن الغرف استر بمستويين درجة أولى .. ودرجة ثانية ..
- درجة أولى للزبون اللى يطلب شغل نضيف ويدفع أيضا ويطلب استلام الحجرة كالعروسة فيضع له المواد كاملة دون نقصان ويتكلف هذا الدهان المعتبر ٥٠ جنيه .. ودرجة ثانية هى لشغل السوق الذى يطلبه منه تاجر الأثاث الذى يرسل له الغرف بالجملة لدهانها .. وهذه الدرجة ينقص منها نسبة من الجمالكة وبقية المواد وتقل عشرة جنيهات عن دهان درجة أولى وماليش دعوة هو اللى عاوز كده .. وأدى شغل السوق ..

الحيـاة على حافـة الخطـر

- أتجه الآن يسارا إلى مدخل البيت ا لذى مازال لم يقرر بعد هل يظل قائما أم

ينهار فأدخله بحذر شديد .. وفى الفناء تقابلنى إحدى الساكنات فتاة حلوة فى الرابعة والعشرين قالت لى إنها سامية صالح دخلت البيت وهى عروس ثم .. وفى يوم من الأيام إنهار البيت الذى يجاوره تماما ووقع على شقتها وعلى شقة جارتها جدار بأكمله .. وخرج السكان جميعا إلى أرض الحارة وهزة المفاجأة تسلبهم جميعا كلّ تفكير .. وانتظروا أياما .. وأياما .. ثم لم يحدث شيء آخر .. لا البيت انهار .. ولا أحد حذرهم من البقاء .. ولا أحد عاين الانهيار ..

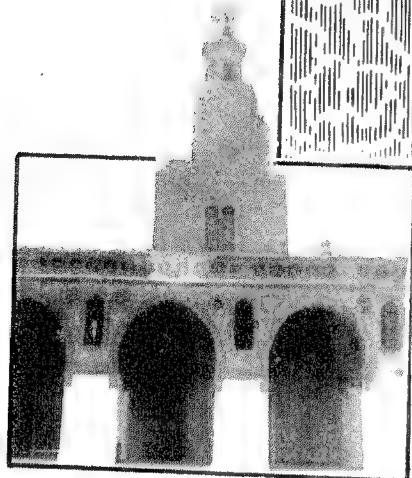
- تشاورا جميعا فيما بينهما وحكموا بالعقل الذى قال لهم أن الحياة نصيب وأن لكل أجل كتاب فليعودا جميعا إلى البيت وبينهم ميثاق غير مكتوب أن يبطلوا الحركات العنيفة « بتاعة زمان » فلا تنفيض للأثاث ولا رزع للأبواب .. ولا خناقات عنيفة بين الأزواج .. ولا ضرب للأولاد ويمشوا على أطراف أصابعهم ويتحركوا فى رشاقة كراقصى الباليه حتى يظل الطابق مستور ..
- تقول سامية .. والنبى باحلم كتير إن البيت وقع عليا وعلى الأولاد وأصحى مفزوعة من النوم وإذا حد خبط عالى شويه على الجيران تحصل خناقات .. !!

وداعا درب المهابيل

أمر عائدة إلى مدخل الحارة فى لحظات تعالى فيها الصراخ بسبب لا أدريه والناس مازالوا أمام البيوت إنهم الآن لا يتجاذبون أطرف الحديث وإنما يتعاركون تحت اللافتة التى تحمل إسم حارتهم درب المهابيل .

....
....
....
....
....

ابن طـــــولون



هنا عاش ابن خلدون .. ثم الدكتور أندرسون وأخيرا .. المعلم بسكال ..

فى هذا الشارع والميدان بمنطقة الخضيرى بالسيدة زينب أكثر من مبنى .. ومعنى عظيمين ..

فأما المبانى فثلاثة مبان .. كل منها أعظم من الآخر ..

وأما المعانى فكثيرة .. فهذا الشارع .. شارع ابن طولون حديثا أو حارة « بئر الوطاويط » قديما عاشت فيه منذ مئات السنين وحتى أربعين عاما مضت معانى العظمة .. والعدل .. والبر .. والوفاء ..

أكثر من شخصية عظيمة شهدها شارع ابن طولون وشهد عليها إبتداء من ابن خلدون فيلسوف العرب العظيم .. وانتهاء بمستر جاير أندرسون الإنجليزى المولد .. المصرى القلب .. مرورا بأحمد بن طولون والى مصر العظيم ..

* * *

تغيرت المعالم كثيرا ما فى هذا شك لكنها لم تنمحى تماما من المكان .. فأهمها مازال بعد قائما يتحدى الزمان ..

على رأس شارع وميدان ابن طولون تقع مدرسة وجامع الأمير سيف الدين ضرغتمش الناصرى أمير المماليك البحرية التى بناها عام ٧٥٧ هجرية وخصصها للفقهاء الأحناف .. ورتب بها دورسا للحديث ..

كنت مشوقة لأن أرى هذه المدرسة التى تحمل عبق التاريخ البعيد .. والتى ألقى فيها دروسه ذات يوم منذ ستمائة عام المفكر العربى العظيم عبدالرحمن بن خلدون ..

ففى عام ٧٩١ هجرية هبط ابن خلدون العظيم أرض مصر فاحتفى به السلطان الظاهر برقوق وأكرم وفادته .. ولما خلا كرسى الحديث بمدرسة صرغتمش بجوار الجامع الطولونى وكانت مدرسة عامرة ذات شأن فى الفقه

والدين ولاه السلطان برقوق كرسى الحديث بها .. فصار يلقى دروسه والناس تفد إليه حتى يضيق بهم المكان ..

كنت أدور بعينى فى أرجاء المسجد الرحيب الذى انقطعت منه الدروس الآن وأتخيل فى كل ركن منه عمامة ابن خلدون والفكر ينثال من تحتها سلاسل من ذهب .. ورحم الله الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى الذى بنى جامعه فأحسن بناءه فقد كانت أرضية البناء فقط شيئا يستحب النظر إليه من جمال الرخام .. أما القبة فهى أكثر من رائعة بارتفاعها الشامخ وحسن بنائها ونقوشها .. وإيوان جميل وسط صحن المسجد المكشوف للسماء تحيط به البواكى المسقوفة بالخشب المنقوش بنقوش رائعة ..!!

كان الوقت قبل الظهر والمسجد خال من أى إنسان عدا خدم المسجد ومسئول العهدة الذى أتى ورائى وبحس المصرى المرهف الذى لم يفقده أبدا عبر عصور التاريخ قال لى محمد أحمد عبدالرحيم ..

- أنا عايزك تكتبى حاجة مهمة يا مدام .. معلوماتى البسيطة أوى بتقول إن المكان ده كان مدرسة أول ما بناه صاحبه .. عايزك تسأل وزارة الأوقاف .. ليه الحال ما يرجعش زى زمان .. وتبقى هنا حلقات درس دينى ويعمر المكان بالعلماء .. بدل الشباب ما ياخد معلوماته فى الدين من ناس منحرفين .. ياخدها من المكان السليم .. من الجامع...!!

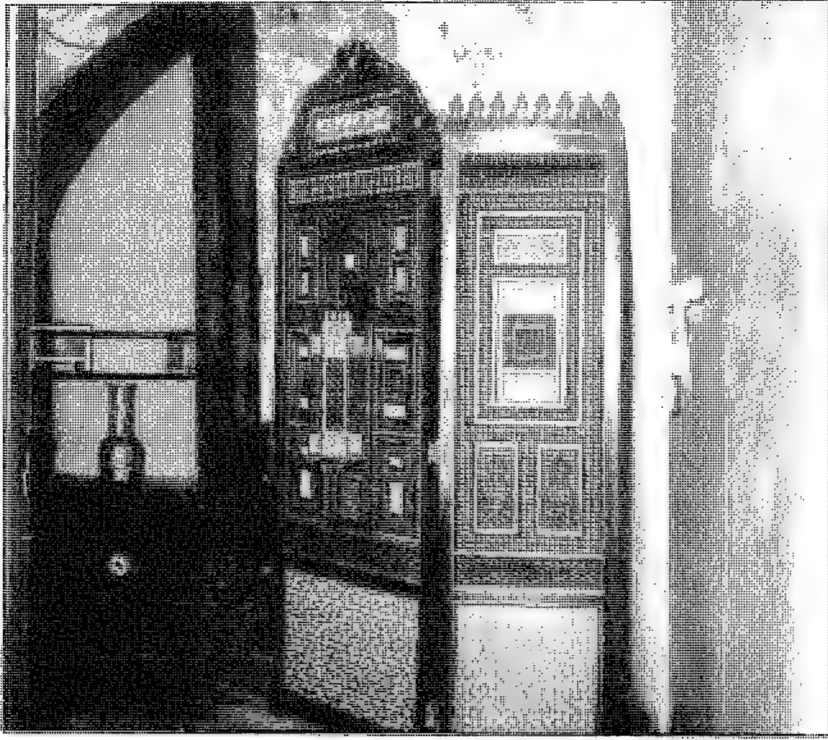
همست فى سرى .. يسلم بقلك يا عبدالرحيم وسلام عليك أيها الأمير صرغتمش الناصرى ..

سلام عليك فى الخالدين عبدالرحمن بن خلدون وإلى أحمد بن طولون السلام ..

مسجد بن طولون

فوق جبل يشكر بنى أحمد بن طولون مسجده الكبير عام ٢٦٣ هجرية وكان ابن طولون هو والى مصر منذ عام ٢٥٤ إلى عام ٢٧٠ هجرية ..

ولبناء الجامع قصة .. ففى يوم خرج ابن طولون للصيد مع أصحابه فغاصت قوائم فرسه فى الرمل فى موضع ما .. فأمر بكشف هذا الموضع



كنوز الفن الاسلامى فى متحف بيت الكريدليه

فانكشف الرمل عن مال بلغ ألف .. ألف دينار أنفقها جميعا فى أبواب البر والصدقات وبنى منها مسجده على جبل يشكر فأنفق فى بنائه مائة وعشرين ألف دينار ..

وأما جبل يشكر الذى بنى فوقه الجامع فله هو الآخر قصة .. فهو مكان مشهور بأجابة الدعاء .. وقيل أن النبى موسى عليه السلام قد ناجى عليه ربه بكلمات .. ثم سمى بيشكر نسبة إلى قبيلة من قبائل العرب اختصت عند فتح مصر بهذا الجبل فعرفُ بجبل يشكر لذلك وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء ..

أصعد الآن إلى الجبل لأصل إلى باب مسجد أحمد بن طولون ..

حقيقة أن الجبل ليس عاليا لكنه جبل على أى حال .. وأصعد بحذاء السور العالى العظيم الذى أحاط به ابن طولون مسجده الكبير ..

السور الهائل مازال ممتدا إلى بعيد وأمر على أبواب ضخمة هائلة يصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار والسور لم ينته بعد والأبواب مغلقة جميعها ..

أواصل الصعود لأصل أخيرا إلى باب مفتوح ومن وراء الباب فناء كبير وسور آخر به سلم وعليه باب مفتوح .. كانت مجموعة من السياح تتزاحم للدخول منه فى هذه اللحظة بالذات .. ووراء السياح دخلت لأشاهد أكبر مساحة مسجد شاهدتها فى حياتى بعد الكعبة المشرفة بمكة المكرمة ..

مساحة شاسعة تمتد فسيحة مترامية وحولها سور عظيم وأبواب هائلة ..

تخيلت لو أن كل هذا المكان قد امتلأ بالمؤمنين الخاشعين .. الساجدين فى كل آونة للصلاة لتغير ولا شك شكل الحياة ..

من داخل المسجد حيث المنبر الدقيق الصنع المتميز الشكل كان صوت المرشدة يأتى من بعيد يشرح بالفرنسية للسياح من هو أحمد بن طولون ..

كان المسجد يتكلم عن نفسه دون حاجة إلى شرح إنسان .. وكان البناء الشامخ الضخم يبعث برسالة واحدة إلى كل السياح وفى عيونهم المبهورة كان واضحا أن الرسالة التى تقول .. أنا عظيم .. ومن أنشأنى عظيم قد بلغتهم ..

أخذت طريقى أقطع المساحة الشاسعة إلى باب الخروج وعند الباب .. لحق بى سمير السيد إمام .. خادم مسجد ابن طولون يرجونى أن أكتب كلمتين عن باب فى أقصى المسجد تأبى هيئة الآثار إلا أن تتركه مفتوحا على شارع الخضيرى ومنه يتسلل الصبية الصغار إلى حيث مجموعات السياح فيضايقونهم بالفعل والكلام .. وفى بعض الأحيان يخطفون حقائبهم ويولوا هاربين ..

أفسدت على هذه الشكوى روعة انبهارى بالاثر العظيم ..

لكنى .. اللهم قد أبلغت هيئة الآثار .. وشرطة الآثار .. اللهم فاشهد .. !!

فليبق باب واحد فقط مفتوحا ليؤدى إلى المسجد وليقفل أى منفذ آخر فما يحدث من خلال هذا الباب الذى يطل على خرابة وخصوصا بالليل يخل بقداسة المكان كما ألمح خادم المسجد الكبير .. !! ..



جيران أحمد بن طولون ... الفن .. والجمال

بيـــت الكريدليـــه

فى الفناء الضخم الذى يحيط بمسجد أحمد بن طولون لفتت نظرى لافتة على شكل سهم يشير إلى اليمين وعليها مكتوب بالعربية والإنجليزية « إلى متحف جاير أندرسون » .. !! ..

تعجبت للإسم الأجنبى فى ساحة المسجد الإسلامى وتتبعت اتجاه السهم حتى باب صغير صعدت إليه درجتى سلم صغير ثم عبرته لأجد نفسى قد انتقلت إلى عالم آخر تماما أتى فجأة من الزمن البعيد ..

إنغلق الباب من خلفى بصوت مسموع ووجدت نفسى تماما الآن فى عصر المماليك .. وما قبل المماليك .. !!

أنا الآن فى بيت كبير ليس فقط للعز فيه مكان وإنما هو العز نفسه والجمال قد تجسدا فى أبهى صورة فى هذا البيت الرائع المهيب ..

فى الفناء فسقية من الرخام الجميل والنبات الأخضر يحيط بها من كل جانب والأبواب التى تحيط بالبناء كأنها الدانتيلا المنمنمة لكن .. من الخشب الثمين .. وأرفع رأسى إلى أعلى لتخايلنى أضواء وألوان من رواد المشربيات تنم عن أثاث ثمين ..

وخرج من إحدى الغرف فجأة رجل عصرى الثياب جعلنى مرآه أفيق من تأملى لكل هذا الجمال .. وتقدمت منه لأعرف أنه المدير المسئول عن كل هذا الجمال ..

● وقال محمد يسرى سرور مدير متحف جاير أندرسون أن البيت اسمه « بيت الكريدليه » وهو عبارة عن بيتين تصل بينهما قنطرة أو « ساباط » ويضم ٣٦١٣ قطعة أثرية إسلامية وفارسية جمعها على مدى عشرين عاما « جاير أندرسون » ساكن البيت والذى تركه بما فيه عام ١٩٤١ هدية منه لمصر التى أحبها كثيرا .. وعشقها كثيرا ..

والبيتان يضمان ثلاثين قاعة وغرفة ليس فيهم سنتيمتر واحد لا يضم تحفة ثمينة رائعة لا تقدر الآن بمال ..!!

صــــولى جمالــــك ..

تقدمنى سيد غنيم معاون المتحف ليطوف بى فى أرجاء بيت الكريدليه .. أو متحف جاير أندرسون صديق مصر .. والمصريين ..

واعذرونى إن لم تسعفنى الكلمات .. فاللجمال البالغ أحيانا روعة صاعقة تذوب معها الكلمات ..

وعن ماذا أحكى ..؟ وكيف أقول ..؟؟

هل أحكى عن « المِقْعَدْ الصيفى » المفروش كله بأبسطة الحرير النادر الثمين ..؟؟

أم عن « المقعد الشتوى » المطعم كل مكان فيه بالصدف وسن العاج ..؟؟

أم عن المقاعد المطعمة بقطع الزجاج الملون والصدف الثمين ..؟؟

أم عن غرف النوم الفارسية ..؟ أم القاعة البيزنطية ..؟؟ أم عن غرفة

النوم الدمشقية المزينة جدرانها بأبيات شعر الخيام وأبى نواس مكتوبة بتبر الذهب اللامع الوضىء ..؟؟

أم عن قاعة الحريم .. وبها غرفة مسحورة ظاهر بابها دولاب خداع يدور إلى اليمين فيكشف عن حجرة كاملة بالمشربيات .. من يجلس فيها يرى من بخارجها وهو لا يبين ..؟؟

أم عن قباقيب الحريم من خشب الورد المطعم بالصدف والعاج ..؟؟

أم عن الشكمجية « صندوق مجوهرات النساء » البديعة الصنع التى لم أستطع أن أمنع نفسى من لمسها فإذا الغطاء يزينه بيت شعر مرصعة حروفه بالأحجار يقول :

صونى جمالك عنا إننا بشر
من التراب وهذا الحسن ربانى

ثلاثون قاعة طفت بها فدارت رأسى من الجمال والروعة والحسن وبهاء كل شبر فى هذا البيت الرائع البناء .. وترحمت فى الدقيقة الواحدة عشرات المرات على جابر أندرسون أينما كان ..؟!

وهبطت أخيرا مقطوعة الأنفاس من الانبهار إلى حيث الفناء وعلى الباب الخارجى قرأت نبذة مكتوبة عن جاير أندرسون تقول :

عندما أنهى أندرسون دراسته للطب فى انجلترا عين بالقسم الطبى للجيش الإنجليزى عام ١٩٠٤ ثم انتقل لخدمة الجيش المصرى سنة ١٩٠٧ ووصل إلى رتبة عميد عام ١٩٢٠ ثم أحيل إلى المعاش فاشتغل لمدة وجيزة سكرتيرا شرقيا بالسفارة البريطانية ثم اعتزل العمل نهائيا عام ١٩٢٤ ..

إلا أنه استمر يقيم فى القاهرة حيث تابع دراسة التاريخ المصرى وغيره من الدراسات الشرقية بصفة عامة مكونا فى الوقت نفسه مجموعة نفيسة من الأثاث والخزف والأبسطة وجميع ما يمثل الآثار العربية بالقاهرة وفى سنة ٣٥ حصل على تصريح من لجنة حفظ الآثار العربية بالقاهرة بسكنى بيت الكريدليه واعدا أن يؤثثه بمجموعته الأثرية وأن تصبح هذه المجموعة ملكا للأمة المصرية

عند وفاته أو مغادرته البلاد بصفة مستديمة مشترطا ازاء ذلك أن تظل التحف فى نفس البيت وأن يحول المنزل إلى متحف عام ..

وفى مايو سنة ١٩٤٢ اضطره اعتلال صحته إلى السفر إلى انجلترا فتسلمت الحكومة المصرية مجموعته الأثرية التى جمعها فى أكثر من عشرين عاما ..

هذا عن أندرسون نفسه .. فماذا عن البيتين اللذين يطلق عليهما إسم بيت الكريدليه .. ؟؟

يتألف هذا البيت من بيتين هما بيت محمد بن الحاج سالم بن الحاج حلجام الجزار الذى أنشأه سنة ١٠٤١ هجرية كما ذكر فى شريط من الكتابة بسقف المقعد الرئيسى ..

والبيت الثانى هو بيت آمنة بنت سالم ويرجع بنائه إلى عصر السلطان قايتباى وقد آل بعد ذلك إلى سيدة يرجع أصلها إلى جزيرة كريت ومن هنا أتى اسم الكريدليه .. !!

ورحمة الله عليكما صاحبى بيت الكريدليه اللذين لم يبخلا عليه فأنشآه بكل هذا الجمال وعلى مستر جاير أندرسون الذى أهدى لمصر التى أحبها كل هذه الروعة ..

شـــــوال فلـــــوس

هبطت إلى شارع ابن طولون الذى يحده من اليمين جبل يشكر وعليه جامع ابن طولون .. وإلى اليسار المساكن والدكاكين وفور هبوطى فوجئت بزفة من الكلمات والتصفيق تنبعث من دكان قريب .. !!

بأعلى صوت كان جهاز كاسيت يعمل بمثابة محطة إذاعة ويذيع ..

- « إبراهيم بسكال بيضحى أكبر تضحية لولاد وأهالى حى طولون .. إبراهيم بسكال بيضحى لولاد حتتة العرايس والعرسان .. والرايح يقول للجاى إبراهيم بسكال بيتحدى الجميع .. !! .. إبراهيم بسكال محضر لكم هنا « شوال فلوس » بيضحى لكم بيه .. !! .. » .



ل ب الكريدليه الفن الإسلامي الذيبو جاير أندرسون

وعند ذكر شوال الفلوس وجدت قدماى تتجهان تلقائيا إلى مصدر الصوت عازمة على أن أنشب فورا لحى طولون الذى ينادى أبناءه وبناته « إبراهيم بسكال » .. !!

على باب الدكان وجدت ابراهيم بسكال شخصيا واقفا بمريلة مطبخ فوق ملابسه .. وفى الداخل كان العرائس الحلاوة والولد .. والحصان ينتظرون نتيجة الإعلان المثير .. !!

وقال ابراهيم بسكال :

- المحل ده أيام أبويا .. وأنا حاليا عندى ٦٨ سنة وطول عمرى حلوانى معتبر .. أعمل كل شيء .. صوانى بسبوسة وكنافة وبقلاوة .. ويومين الموسم فى مولد البنى أشتغل على الحلاوة ..
- فين شوال الفلوس اللى بأقول عليه .. ؟؟
- معلوم عندى شوال فلوس بادى منه لكل الى بيشترى منى .. لما أبيع كليو الحلاوة بتسعين قرش .. وغيرى يبيعه بجنيه أبقى باغرف للزباين من شوال فلوس ولا لأ .. ؟؟
- أهو بقى كل شيء جايز فى الإعلان وانا أصلى ولا مؤاخذة عندى ٧ عيال .. !!

أشرت إلى عروسة على الرف هائلة الحجم كثيرة الزواق فقال ابراهيم بسكال باعتزاز ..

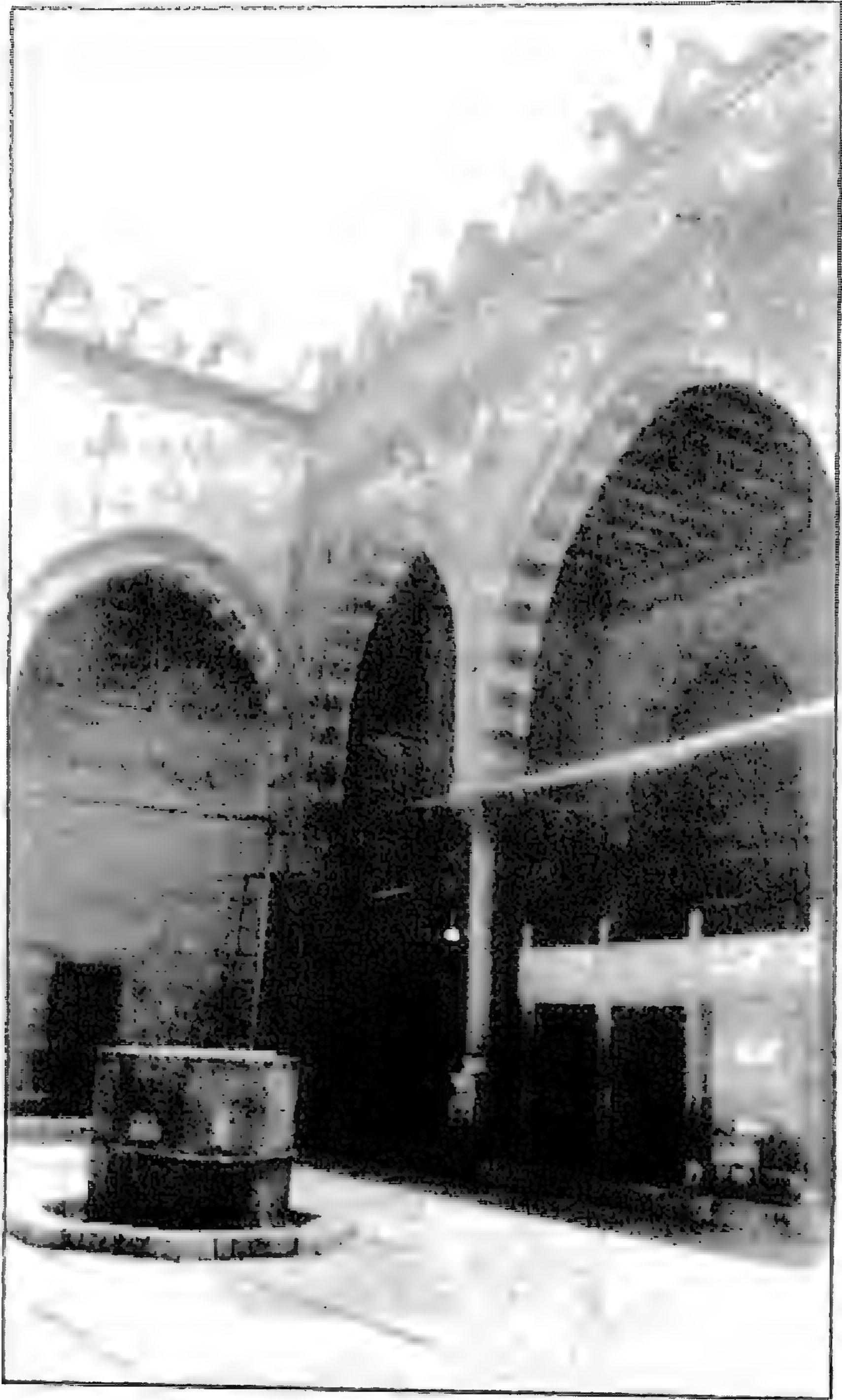
- ضرورى طبعا وإلا تتقل قيمة العروسة ودى بقى بخمسة جنيه ..

* * *

قبل أن أغادر محل ابراهيم بسكال تقدم شاب صغير السن وقال ..

- أنا بأه المذيع .. !! سألته .. أى مذيع .. ؟؟
- أجاب باعتزاز شديد .. مذيع الشريط بتاع عم بسكال .. حاكم أنا جاره وأحب أخدمه والوقت موسم .. !!

سامى معروف « المذيع » هو الحلاق المجاور لعم بسكال قال فى ثقة متناهية ..



مدرسة الأمير صرغتمش .. هنا ألقى المفكر العربى ابن خلدون دروسه

- صحيح أنا أحب الإذاعة و« السيما » لكن بقى ولا مؤاخذة ما احبش الأضواء .. !!
- أحب شغلتى أوى .. لكن على المدى الطويل حاقلب كوافير حريمى بإذن الله ..

* * *

بئـــــر الوطاويـــــط

ينحدر شارع ابن طولون من الارتفاع إلى الانخفاض .. وقديما لم يكن بهذا الاتساع وإنما كان مجرد حارة يطلق عليها إسم حارة « بئر الوطاويط » وما تزال هناك حارة فى نفس الشارع اسمها حارة « البير » .. أما البير نفسه فيقع داخل بيت الكريدليه .. !!

وسبب تسميته ببئر الوطاويط « أن الوزير أبوالفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات كان قد أنشأها وحبسها لجميع المسلمين ثم لما مر الزمن خربت السقايات وبنى فوقها البئر وتولد فيها كثير من الوطاويط » – الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ..

بقيت البئر وذهبت الوطاويط ..

* * *

وأنا أهبط شارع أحمد بن طولون بحذاء جبل يشكر ..كنت أفكر فى أن العمل الطيب هو وحده الذى يخلد الإنسان .. فعلى أحمد بن طولون مرت عشرة قرون .. وعلى الأمير ضرغتمش الناصرى .. مرت سبعمائة سنة وعلى رحيل جاير أندرسون مر أربعون عاما لكنهم وجدوا جميعا وبعد كل هذه السنين من يترحم عليهم ويقرأ الفاتحة على أرواحهم فى وسط ميدان أحمد بن طولون فى هذه اللحظة منذ عام ١٩٨٠ .

....
....
....
....

حـــــارة اليهـــود



بها ثلاث يهوديات .

- الأولى .. اعتنقت المسيحية لتتزوج .
- الثانية .. هاجر زوجها ولم يطلقها .
- الثالثة .. زوجها أسلم .

دخل اليهود هذه الحارة منذ ثمانمائة عام فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله .. وخرجوا منها فى عام ١٩٦٧ فى عهد جمال عبد الناصر .. وبين هذين التاريخين شهدت الحارة أحداثا ... وأصبحت فى كتب التاريخ رواية ..

وعلى ألسنة الناس حكاية لا تنتهى .. ثم جاءت مبادرة السلام فى نوفمبر سنة ٧٧ فألقت على الحارة غلالة من الأمل فى نفوس ألفين من اليهود فارقوها منذ خمسة عشر عاما ...

لكن هل حقا يعود الزمان ...؟؟

مازالت حارة اليهود رغم لافتة كبيرة متكررة معلقة فى أكثر من مكان تقول بخط كبير « شارع المصريين » .. لكن الناس يدعونها حتى الآن حارة اليهود ...

أتى اليهود إليها فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله عندما قاموا بفتنة ضده فى جهة الجودرية قرب بوابة المتولى فنقلهم جميعا إلى الحارة .. حارة اليهود .. وأمر بإقفالها عليهم ليلا منعا للشغب والاضطرابات وكعادة اليهود فى كل مكان حولوا الحارة إلى « جيتو » أى حى يهودى خالص إذا قفلوه عليهم لم يحتاجوا لأحد خارجه ...

حى فى حاره ..

إن كلمة الحارة لا يمكن أن تنطبق على ما يسمى بحارة اليهود .. إنها تشغل مساحة كيلو مترين مربعين كاملين تبدأ من وسط شارع الصاغة تماما وتتفرع

فى إثنتى عشرة حارة متداخلة .. متشابكة .. كثيرة المنحنيات والمنعطفات حتى تصل إلى حى الخرنفش والحسينية فى جنوبها .. وتجاور شارع الموسكى وبقية الصاغة وحى الحسين من شرقها ..

وللحارة سبعة منافذ تطل على ما حولها ... وقديما .. وفى ظلام الليل وعلى ضوء قناديل زيت السيرج الصغيرة كان اليهود يتحركون فى الحارات الصغيرة الضيقة وحدهم بلا شريك يمارسون طقوسهم بلا رقيب .

إله التجارة فى حارة اليهود

ضمت الحارة خلال فترة تمركزهم بها الفرن الخاص الذى يصنع فيه الطعام الكوشير أى الحلال فى شريعتهم وعشرة معابد لهم ... ومدرسة وملجأ لعجائزهم .. أما المصانع الصغيرة والدكاكين التى تتاجر فى كل شىء فتلك لعبة اليهود منذ قديم الأزل ..

وفى أواخر الثلاثينيات بدأ بعض اليهود يتسللون من الحارة الضيقة إلى شوارع الزمالك وجاردن سيتى والعباسية بالذات حيث بدأ تمركز أغنياء اليهود ... وتركوا الحارة لصغار اليهود والحرفيين وبالذات الصياغ ..

وهكذا دخل إلى الحارة المسلمون أولا ثم قلة من المسيحيين حتى جاء عام ٦٧ فخرج منها عشرون ألفا من اليهود وكان فى مصر وقتها ١٢٠ ألف يهودى متناثرون فى كافة مدن مصر وقراها ولم يبق فى الحارة إلا ثلاثة فقط من اليهود ... ثلاثتهن من النساء .. إثنتان منهن رفضتا ترك بيتها الملك فى الحارة وبقيتا فيه والثالثة بمهارة اليهودية الشاطرة تخلصت من دينها ودخلت المسيحية وتزوجت من تاجر نحاس مسيحى وأنجبت له اثنين .. واحتفظت فى نفس الوقت بثلاث من بناتها من زوجها اليهودى الذى هاجر إلى إسرائيل ..

● لفت نظرى كثرة الأقبية المظلمة فى الحارات الصغيرة داخل حارة اليهود فما من حارة تخلو من قبو مظلم فى جزء منها .. إن اليهود بدأوا يغادرون الحارة ويهاجرون من مصر كلها ابتداء من عام ١٩٤٨ لكنهم تركوا وراءهم آثارهم تدل عليهم ..

- لا يخلو شبر واحد من حارة اليهود من محل للتجارة أو مصنع صغير لأى شيء يخطر ببال إنسان .. لا يفصل الدكان عن الدكان أو المصنع عن المصنع إلا الجدار فقط وكلها دكاكين ومصانع أقامها اليهود .
- رأيت فى إثنتى عشر حارة متداخلة محال لبيع القماش بالجملة وبالقطاعى ومصانع صغيرة للأحذية والنحاس والحلى الفالصو والبلاستيك والذهب ومواقد الجاز والأثاث والصفيح وصناعات عديدة من المخلفات .

حى تجارى صناعى كامل داخل حارة اليهود وحاراتها الصغيرة التابعة .. الكل فى حركة ذاتية مستمرة لا تنقطع .

شيخ حارة اليهود

- للحارة شيخ كبير وقور يحفظها رغم اتساعها شبرا .. شبرا ويعرف أفرادها فردا فردا .. هو الشيخ زكريا محمد حسن الذى يسكن حارة اليهود منذ أكثر من أربعين سنة .
- علاقة الشيخ زكريا بالحارة وباليهود تسبق أيضا هذه السنوات الأربعين بعشر سنوات تقريبا عندما أمضى فترة تجنيده فى بلوكات النظام فى حراسة حارة اليهود .
- يشهد عم زكريا أن سكانها لم يثيروا أبدا أى شغب من أى نوع ولذلك لم يكن يحمل هم الأمن على الاطلاق .
- بعد انتهاء تجنيده استطاع أن يحتل محل بقال توفى بالحارة بلا وريث فأصبح أول بقال مسلم يبيع لليهود ..
- يقول عم زكريا .. كانت العلاقات بينى وبين جيرانى اليهود طيبة للغاية .. إنهم يستطيعون أن يكونوا لطافا للغاية عندما يريدون ...
- لليهود فى ذاكرة عم زكريا حكايات .. وحكايات ..
- يذكر عم زكريا أن الحارة كانت آية فى النظافة والتنسيق .. كان لا هم لليهودى بعد عودته من العمل إلا تنظيف البيت ورش المياه أمامه فى الصيف .

- وبعد المغرب بقليل تضاء القناديل فى البيوت ويخرج الكل أمام المنازل فى ملابس نظيفة يتجاذبون أطراف الحديث . وبنعومة شديدة كانوا يتسللون إلى معرفة كل شيء عن جيرانهم وأحوالهم .. من طول عشرته لليهود يجزم عم زكريا أنهم لا يشعرون بالأمن أبدا إلا لو كانوا على علم تام بكل صغيرة وكبيرة فيما حولهم حتى تطمئن غريزة الحساب عندهم .. هذه الغريزة التى تحسب كل شيء قبل أن يبدأ وينتهى ..

الأكـل الحـلال ..

- عم زكريا شيخ حارة اليهود أصبح دليلى ومرشدى فى الحارة .. على الصفين فى مدخل الحارة صفان من الدكاكين الصغيرة المتقابلة تبيع الأقمشة الشعبية بالجملة وبالقطاعى .. كانت هذه تجارة اليهود الأساسية .
- فى إحدى الحارات الصغيرة وبالتحديد فى حارة العطار توقف بى عم زكريا أمام فرن مغلق قديم قال إنه فرن الطعام الكوشير ... كان العمل يدور فيه لمدة شهرين متواصلين من كل عام ليصنع طعام اليهود فى السبعة أيام المقدسة ... الخبز يصنع من قمح زرع وحصد وطحن بأيد يهودية خالصة ثم يأتى إلى الفرن فيصنع بالأيدى اليهودية حتى يؤكل حلالا فى الأيام السبعة المقدسة .
- عندما خرج اليهود من مصر عام ٦٧ عرضت الحاخامة الفرن للبيع لكنه لم يأت بالثمن المطلوب فأغلقته ومن يومها ظل كما هو .

وحكايات اليهود مازالت تروى فى حارة اليهود ..

- لا تنسى الحاجه عليات عثمان ساكنة المنزل رقم ٥ جارتها ورفيقة صباها « لونا فلفله » ..
- فى عام ٣٥ تزوجت ست عليات من أحمد ابراهيم فى نفس الوقت الذى تزوجت فيه لونا فلفله من إبراهيم يوسف صانع الذهب ... كانت عشرتها حلوه كما تذكر الست عليات .
- كنا نتخانق الصبح وابقى غلطانه فيها تيجى تصالحنى العصر .. إتعلمت منها الحرص والتدبير وازاى القليل يبقى فى إيدى كثير ..

● من المنزل المقابل علا صوت نسائى ينادى .. عم محمد .. عم محمد .. عايزينك فى البيت . وأطل محمد أحمد ابراهيم إبن الست عليات يجيب على النداء .

كان النداء يأتى من منزل إحدى اليهوديات الثلاث اللاتى بقين فى الحارة من اليهود .

● صعدنا إلى المنزل حيث تعيش خميسه يوسف ابراهيم إبنة لونا فلفله صديقة طفولة ست عليات .

● كانت خميسه التى تناهز محمد ابراهيم فى العمر تناديه لتسأله عما تم فى الطلب الذى قدمته لابنتها راسبة الإعدادية فى المدرسة الخاصة القريبة فى الخرنفش .

● استقبلتنا وهى تبتسم مرحبة بضيوف أخيها محمد كما تدعوه ..

● خميسه هو إسمها فى الحارة .. ناداها به الأطفال وهى صغيرة لكن إسمها الحقيقى اليهودى هو لوسى منذ ولادتها بالحارة عام ١٩٣٦ . لكن لوسى لم تعد يهودية الآن فقد اعتنقت الدين المسيحى لتتزوج من زوجها عام ٦٨ .

● ظلت لوسى منذ مولدها وحتى عام ٦٧ يهودية قلبا وقالبا . تزوجت فى شبابها من يهودى مثلها أنجبت منه خمس بنات هن بيللا .. ونينا .. ولونا .. وفورتينيه وسونيا ..

● كان زوجها الأول حاييم صائغ ذهب فى الصاغة .

● فى عام ٦٨ صمم حاييم على الذهاب لإسرائيل بسرعة حسبتها خميسه فى عقلها .. هى هنا فى مصر ربة بيت لا تعمل .. وستبدأ فى إسرائيل وهى فى هذه السن تعمل لتأكل .... هنا جذورها وكل عمرها فهى مصرية المولد والمنبت .. يهودية الدين .. هنا تعرف الجميع لكنها فى إسرائيل ستبدأ تماما من جديد .. وفكرت خميسه ... وقررت وأجرت مقاصة ماهرة مع أبيها وإخوتها ... وزوجها .. سيتركون لها بيتهم فى حارة اليهود لتعيش فيه ... ستظل فى الحارة وهم يذهبون لإسرائيل .. تظل هى هنا حارسة للبيت فقد يعودون يوما .. فهل يجدون أنفسهم بلا بيت ...؟؟



ثالثة اليهود فى الحارة حبيبة يوسف لنصفها يهودى ولنصفها مسيحى



المصانع الصغيرة من كل نوع فى حارة اليهود

● وذهب زوج خميسه إلى إسرائيل وطلقها قبل أن يرحل وأخذ معه سونيا وفورتينيه أحلى البنات الخمس ... وترك لها لونا وبيللا ونينا الأقل جمالا وفتنة ... ولم تتعب خميسه أو تحتار وحدها بلا زوج أو إخوة .. فى مدى عام واحد كانت قد تزوجت من رؤوف ابراهيم المسيحى جار دكان أبيها التى تركها وراءه ودخلت فى دينه وتنصرت ... وفى منزل زوجها المسيحى الآن يعيش الجميع .. بناتها الثلاث يهوديات كما هن وطفلتاها المسيحيتان من زوجها وهى مسيحية دينا .. يهودية قلبا وروحا كما لاحظت فهى تعرف كل أخبار اليهود الغائب منهم والحاضر وتحرص على أن تقابل من يأتى منهم إلى القاهرة كسائح ..

● قالت لى إنها كانت تنوى أن تبعث بالبنات الثلاث نينا وبيللا إلى أبيهن فى إسرائيل ليتزوجن فلم يعد فى مصر يهود الآن . وقررت بعد مبادرة السلام أن يبقين فعندها أمل كبير فى زواجهن هنا فى مصر بعد تطبيع العلاقات .

● وقالت .. مصر أم الدنيا والله يا مدام مش كدب ولو كنت عارفه إنى حاستريح هناك كنت هاجرت من زمان .

● طلب محمد ابراهيم إبن الست عليات من « أخته » خميسه قرص أسبرين وفنجان من الشاى فأشارت خميسه إلى طفلتها الصغيرة من زوجها المسيحى أن توقد البوتاجاز وتصنع عليه الشاى ... تعجبت من تكليفها للطفلة الصغيرة بإيقاد الموقد وهى فى هذه الشن الصغير لكن عندما كنا فى طريقنا لمغادرة المنزل المحت عينى فى نتيجة الحائط فى صالة المنزل أن اليوم هو السبت اليوم الذى لا يوقد فيه يهودى أصيل بيده أى نار ...!!..

شطارة اليهود ..

عندما هبطت من منزل خميسه يوسف لفتت نظرى نجمة داوود مشغولة بالنحاس على الباب الحديدى الكبير وعدت وبصحبتى الشيخ زكريا نضرب بأقدامنا فى الحوارى الصغيرة الإثنى عشر .. ودارت رأسى من حركة البيع المستمرة والشراء ..

● فى إحدى العطف الصغيرة وجدت ألواحا من الحديد عليها وحدات متكررة من النحاس اللامع إقتربت من الألواح لأقرأ عليها أسماء بييركاردان

وكريستيان ديور وإلف سان لوران .. منقوشة بالحروف اللاتينية على قطع صغيرة من النحاس الأصفر الجميل ... تعرفت فيها فورا على القطع النحاسية التى تلصق على حقائب اليد الغالية الثمن فى شوارع سليمان باشا والزمالك وقصر النيل ... كان صانعها يصنفها صفوفا متتالية وهو يحصيها بصوت خفيض واقتربت منه .. محمد محمود عبد المجيد صاحب مصنع الأشغال النحاسية الصغير ..

- قال لى إنه كان تلميذا للخواجة ليتوكوهين صائغ الذهب والنحاس فى الحارة تتلمذ على يديه وعرف منه الصنعة وأسرارها ولما خرج الخواجه ليتوفى عام ٦٧ إشترى منه المصنع الصغير واستمر يعمل فيه حتى الآن .
- يصنع محمد عبد المجيد هذه القطع النحاسية لحساب مصانع حقائب اليد الغالية الثمن ... الشيك .. يبيع لهم الألف جوز بعشرة جنيهات ... يصنع أيضا أشكالا وألوانا من الحلى النحاسية التى تحول حقيبة اليد والحذاء الحريمى من حذاء عادى إلى حذاء ثمنه فوق العشرة جنيهات بسبب هذه القطعة الصغيرة اللامعة من النحاس .
- قال لى وهو يعمل ويتكلم فى نفس الوقت .. اليهود عفاريت الصنعة ... أى صنعه من مافيش فى عام ٦٧ عندما باع له الخواجه ليتو كوهين الورشة وهاجر إلى إسرائيل لم يكن ليتو بعيدا وهو يترك حارة اليهود لكنه كان خائفا من الغد وما يمكن أن يأتى به . أكد محمود عبد المجيد فى انفعال .. وحياتك يا مدام هما سابونا خوف مش حبا فى إسرائيل .

إســتر وعزيزه حاييم

فى حارة اليهود ٧٢٠ محلا ومصنعا صغيرا تبيع كل شىء حتى الأكلمة والسجاجيد من فضلات القماش ولا يعرفون كلمة مستحيل فالرزق يحب الخفية ... وكل من فى حارة اليهود فعلا خفاف وشطار ويعملون من الصبح حتى المساء ..

فى حارة اليهود أيضا كان ملجأ العجائز اليهود مازالت الكلمات المحفورة أعلاه تقول .. هنا دار المرحوم رحمين اسحاق ليشع الخيرى .

فى نهاية عام ٦٧ كان يضم ٢٦ يهودى ويهودية من العجائز وكانت الحاخاخانه تنفق عليهم من التبرعات ... عندما خرج اليهود جميعا إنتقل اليهود العجائز إلى ملجأ آخر فى شارع أحمد سعيد .

- خرج اليهود حقيقة من ملجأ عجائز اليهود لكن الحارة مازال بها حتى الآن إثنان من عجائز اليهود رفضتا أن تتركا الحارة لأى سبب من الأسباب . ومن يومها وجيرانهما فى البيت والحارة يحيطونهما بكل أسباب الرعاية فهما جيران العمر ..

تعيش الآن إستر ليتو حاييم .. وعزيزه ليتو حاييم فى المنزل رقم ١٥ حارة العطار منذ أكثر من ستين عاما .. هاجر الأهل والأصدقاء لكنهما لا تعرفان غير مصر وغير الحارة التى شهدتهما طفلتين فشابتين فعجوزتين تقضيان أيامهما فى هدوء ..

- قالت إستر فى تأكيد .. نروح فين ..؟ إحنا هنا من أيام سيدنا يوسف مابا ع القطن ..!!

فى زمن الشباب كانت إستر خياطة متواضعة لكنها كانت تكسب الكثير من الحارة وما حولها من حارات . وكانت تذهب لتخيط فى البيوت .

- أما عزيزه فكانت خياطة كبار القوم وكانت تدخل إلى بيوت الوزراء والكبراء ... كانوا جميعا يحبونها لإتقانها عملها ويرسلون السائق بالعربة ليأتى بها ويعود بها أيضا إلى الحارة بعد انتهاء عملها . وكانت أجرتها غالية فى عام ١٩٣٠ كانت تقوم بخياطة الفستان « بجنيه كامل » .
- من دخلها فى الخياطة إستطاعت أن تشترى هذا البيت لأمها وأخواتها وتعيش فيه الآن مع أختها وتأكلان من إيجاره ..
- فى الشكل وفى الحظ والزواج إستر وعزيزه متشابهتين .
- عزيزه تركها زوجها عام ٦٧ وهاجر فجأة دون علمها إلى إسرائيل ولم يطلقها حتى الآن ..
- وإستر مازال زوجها فى القاهرة لكنها لا تراه فقد دخل فى الإسلام وتزوج من مسلمة وأنجب الأولاد .

- تقول إستر إن الخلاف بينهما بدأ يوم اكتشف أنها ادخرت ثلاثمائة جنيه بعيدا عنه وبدون علمه ومن يومها بدأ فى التباعد حتى دخل فى الإسلام
- لا تعرف إستر من العبرية حرفا واحدا غير كلمات الصلاة .
- بين كل كلمة وأخرى كانت إستر تقول وهى ترحب بنا .. اليهودى يحب يخدم العالم كله ... أنا كنت بأعلم جيرانى إزاى يعملوا الكعك والمربى ويقطروا الزهر فى البيت ..... اليهود مش بخلا لكن يخافوا على الفلوس .
- أحب أروح إسرائيل فى زيارة بس لكن أرجع تانى أموت هنا فى مصر .. وصمتت برهة ثم قالت لكن أنا عجوزه عايزين فى إسرائيل الشباب وبس .
- وبدأت عزيزه تقول بدون مناسبة .. اليهود القراوين ناس وحشين بياكلوا السمك القراميط والسمك الثعابين مع إن الرب قال لازم السمك يكون له قشر عشان يبقى حلال ..
- إبراهيم بن عمى داوود حسنى كان عندنا امبارح بيسأل عنا .. إسم ابراهيم فاروز هوه اللى بدع اليانصيب ..
- إسمعى فيه مشكلة أحب تنكتب فى الجرنال .. البيت بتاعنا ده بيجيب مبلغ بسيط والأمم المتحدة لما زارتنا وعرفت إن لنا بيت ملك مارضيتش تدينا فلوس ممكن يعنى تكتبى يدونا فلوس ...؟ الفلوس حلوه جدا خصوصا لما تنشال لوقت زنقه ..
  - حاتكتبى فى جرنالك عشان الفلوس تييجى ؟
- طيب إقعدوا معانا شويه دانتو ماشربتوش حاجه .. ولا النهارده الخميس عندكم صيام « كان اليوم هو السبت » ... برضه الصيام مفيد للصحة ... نورتونا .. ده احنا النهارده زارنا النبى محمد وموسى وعيسى بن مريم وكل الأنبياء ..

بخل أم شطاره ..؟

أسأل عم زكريا ونحن نغادر البيت فى الظلام الدامى مساء يوم السبت .. هل حقيقة ما يشاع عن بخل اليهود ؟

- أكاد ألمح ابتسامته فى الظلام وهو يجيب :

● كان عندنا هنا فى حارة الكنيسة الله يمسيه بالخير الخواجه أنطون .. يوم الجمعة ينصب نصبه قصاد بيته عليها الوابور وميه بتغلى ويدبح الفرخه بقرش صاغ ولما صلاة الجمعة تخلص يكون غسل إيديه ولبس نضيف وواقف مستنى على باب الحارة بدوارق المية بالزهر .. يدى كل اللى راجع من الصلا يشرب الميه بتعريفه الكبايه .

● أما الخواجه ليشع فكان يشترى من معامل الأشعة والمستشفيات ورق الأشعة القديم اللى خلاص حايرموه ويطلع منه نترات الفضة يطلى بيها الصيغة التقليد ويبيعها .. وورق الأشعة اللى يفضل يعمل بيه أكياس لحفظ البطاقة والباسبور ...

● والست إستر بنت ابراهيم راحيل كانت سبحان الخلاق فيما خلق .. جمال ما وصفش .. كانت فى كلية الصيدله وكانت عربية جيش مليانه ضباط تستناها كل يوم الصبح فى القبة عشان يشوفوها بس وهيه رايحه الكلية ... كانت وحياتك يامدام لما تشرب الميه تبان من رقبتها ... وفى يوم نزل أخوها فرج فرحان أوى ومزأطط سألته فيه إيه يا فرج .. قال .. أختى إستر حاتتجوز من غير ما تدفع دوطه ... حاتتجوز راجل عجوز ..

رئيس الطائفة ..

فى أول كل شهر يقوم عم زكريا بزيارة إلى وكالة قماش فى سكة اللبودية بالحمزاوى الكبير يسلم هناك ويستلم ... عم زكريا يعمل أيضا جابيا لأموال اليهود التى مازالت فى حارة اليهود ويسلمها فى أول كل شهر لرئيس الطائفة اليهودية الخواجا أليكس اسكاكي ويتسلم منه ٥٪ من قيمة ما يجبيه ...

● عم زكريا يجبى فى أول كل شهر مبلغ ٣٢٠ جنيها مصريا قيمة إيجارات بيوت قديمة ودكاكين صغيرة يذهب ربعها للطائفة الإسرائيلية فى مصر التى يبلغ عددهم الآن خارج الحارة – ١٧٠ فردا بالقاهرة وحوالى ٢٠٠ بالاسكندرية .

● وكان لابد من زيارة لوكالة الأقمشة بالحمزاوى الكبير حيث الخواجه فليكس آسكاكى الرئيس المالى للطائفة اليهودية فى مصر فلم يعد لهم حاخام مقيم فى مصر منذ عام ٦٧ .

- سألنى الخواجه اسكاكى فى بداية حديثى معه أن أحدد بالضبط ما سآخذه منه من وقت ونظر فى ساعته .. ثم تنهد وهو يقول ..
- كنا ١٢٠ ألف يهودى فى مصر كلها .
- فى الحارة كان حوالى من ١٥ إلى ٢٠ ألف منا .
- من ٨٠ سنه كان كل أغنياء اليهود فى الحارة ثم خرجوا منها جميعا إلى الأحياء الراقية وتركوها للفقراء .
- لكن الحارة مازالت المكان الحقيقى لليهود فى مصر ففيها عشر معابد معبد بلهنيس وجايم ورادموشى ويعقوب وإسماعيل وابن ميمون وغيرهم وبها أيضا المدرسة وفرن الكوشير .
- أجرت الحكومة المصرية المدرسة من الطايفة اليهودية وتدفع لها إيجار ألف جنيه .

- أنا الرئيس الدنيوى للطائفة الإسرائيلية فى مصر أنا الذى أتحدث باسمهم مع المسئولين وأعرض مطالب الـ ٣٧٠ الباقية من اليهود فى مصر وأوزع الأموال التى تأتى على المستحقين منهم والفقراء . ولقد تعشيت مع بيجين عندما حضر فى قصر الطاهره . وحضرت عشاء آخر مع إيجال يادين بدعوة من فكرى مكرم عبيد فى فندق هليوبوليس بالاس .
- الدنيا كلها مبسوطه من السلام وأى حد عنده شوية عقل مش حتى عقل كثير يعرف إن الحرب دى ماتجييش أبدا فايده .

- وافق الرئيس السادات أخيرا على أن يكون للطائفة فى مصر حاخام دينى من جديد وسيأتى من إسرائيل بعد شهرين ... إنتهت العشر دقائق للحديث شالوم ... وفى لحظة رأيت ظهر الخواجه فليكس سكاكى وهو ينصرف ... وانتهت العشر دقائق حقا للحديث لكن لم ينته بعد الحديث فلا يمكن أن ينتهى فى مصر أى حديث عن اليهود دون أن نستمع إلى السيد محمد عاشور الذى يتاجر فى القماش ويطبع على نفقته كتبا عن اليهود يوزعها مجانا لمن يريد حبا فى العلم وفى الحقيقة ..
- الحاج سيد عاشور فى سوق الحمزاوى الكبير صديق قديم لليهود منذ





العشرينات فقد كان أول تاجر أقمشة مصرى ينفذ من خلال الحصار الذى كانوا يفرضونه بشتا على تجارة القماش فى مصر ..

وفى اليوم الذى ذهبت فيه إليه كان قد أصدر كتابه الثامن عن اليهود ويحمل عنوان الصوم عند اليهود .

وقال الحاج سيد عاشور عن حارة اليهود ..

- خسارة كبيرة أن تندثر الحارة وتضيع معالمها المميزة كان يجب أن نحتفظ بها للسياح .. الحارة لها قيمة تاريخية كبيرة منذ عهد المعز لدين الله وبها عشرة معابد قيمة كمعبد ابن ميمون أعظم فلاسفة اليهود وطبيب الناصر صلاح الدين الأيوبى الخاص وأول من قدم شرحا للتوراة فى ١٤ جزءاً .
- وبعد مازالت الحارة كما هى .. خرج منها اليهود ومرت سنوات وسنوات لكن مازالت تتردد فيها حتى الآن حكايات اليهود .

....
....
....
....
....

حـارة العـوالم



هنا عاشت زوبة .. ونبوية شخلع وعزيزه
كهربا .. ونظله العدل .. وفاطمه سمكه ..

حارة العوالم من الخارج هى حارة الأنس .. والحظ والبهجة والفرفشة ... هى بهجة وأنس وطرب ... وراقصة تلمع بالترتر والألوان تحت الأضواء .. والموسيقى تدق ... والفرح ينتشر ...

حارة العوالم هى اللعب بالألوان .. وبالنغمات ... وبمشاعر الناس فى لحظات الفرح المطلق ...

هى الفرح ... والأنس .. والصهللة .. هى مزيكة وطبلة ... ورق .. ونغم على واحده .. ونص ..

هذه هى حارة العوالم من الخارج وفى عيون الآخرين ...!!

ومن الداخل .. فحارة العوالم فيها حقا كل الأنس والبهجة .. والفرفشة .. وفيها أيضا بجانب الابتسامات دموع .. وحب .. وزيف .. وصدق .. وحكايات كثيرة .... كثيرة .. وفيها من إسمها الكثير فهى ليست عالما قائما بذاته فحسب ... لكنها حقا عوالم متعددة داخل حارة العوالم ...!!

حارة العوالم .. فى باب الخلق

الشائع لدى الكثيرين أن حارة العوالم هى جزء من شارع محمد على محطة الأنس فى القاهرة منذ ما يقرب من ١٥٠ عاما ... لكن الحقيقة غير ذلك فحارة العوالم تقع فى جزء من ميدان باب الخلق قريبا جدا من مديرية أمن القاهرة .. وعلى بعد خطوات أيضا من دار الكتب ... وتطل من مسافة قريبة على شارع محمد على ..

وحتى ما يقرب من ثلاثين عاما كانت الحارة هى حارة العوالم بحق وحقيق ... لا يخلو بيت فيها على صغرها من عالمة أو أكثر تنثر البهجة فى ليالى القاهرة ...

فى الصباح كانت دائما هى الحارة الوحيدة الهادئة .. النائمة مهما علت الضجة فى ميدان باب الخلق الصاخب المزدحم واشتد الضجيج .... ومن بعد العصر تبدو الحارة وكأنها قد شدت شالها فحزمت به وسطها وأخذت تهتز فى شخلعة ودلع حتى ساعات الصباح الأولى عندما تبدأ نومها ..

يقول فكرى حسين المطيباتى « وهذه كانت مهنته فى كار العوالم » أن الحارة كانت تبدأ يومها مع آخر ضوء من النهار فتفتح الشبابيك فى كل البيوت وتعلو أصوات ضبط الأوتار ... وضبط الطبلة على واحده ونص .. ويبدأ ليل الحظ .. والفرفشة فى قاهرة المعز على رنين ضحكات العوالم وهن يرتدين ألوانهن الزاهية إستعدادا للانتشار فى أفراح وحفلات العاصمة ...

زوبة وشخلع

يقول فكرى الذى اعتزل العمل الآن وأصبح يعطى دروسا فى الأكرديون أن الحارة كانت تضم فيما مضى أسماء لامعة فى سماء ليالى البهجة والطرب .

كان فى الحارة على أيام عزها .. ست زوبة الكلوباتية .. وست نبوية شخلع .. وست عزيزة كهربا .. وعايده وصفى .. وتوحيده .. وفاطمة الطحانه وعزيزه حظ .. وثريا سمكه .. وغيرهن كثيرات .. منهن من توفت ومنهن من انتقلت من حارة العوالم إلى شارع آخر بعيدا عن العالم الذى انتمت إليه طيلة حياتها بعد أن اعتزلت العمل تماما . وأصبحت الحارة الآن تضم على الجانبين محلات تصنع جهاز العرايس بأسعار متواضعة .

الظاهرة الغريبة التى صادفتنى .: أن العوالم المتقاعدات قد انتقلن جميعا من بدلة الرقص إلى الحجاب الكامل الذى يغطى ما أمر الله بستره وأن معظمهن رغم إلحاحى الشديد قد رفض الكلام عما مضى من أيام ..

وأنـــا قـــلت أتـــــوب
وده شـــــىء مكتـــــوب
وخـــلاص النوبـــة ســـماح

* * *

لكن حارة العوالم، وإن خلت اليوم من العوالم إلا أنها مازالت مركز

المعلومات الدقيقة عن عالم العوالم فمن الحارة تستطيع أن تعرف أين توجد كل عالمة الآن مهنة قد انتشرت حول الحارة وفى نفس المنطقة فى حارات باب الوزير ودرب عنبه ... وحارة المدبح .. والمناصره ... ربما لتستطيع كل واحدة أن تكتب فى بطاقتها كلمة فنانة بدلا من عالمة ...

ومن حارة العوالم الخالية من العوالم أحالونى إلى شارع محمد على حيث مجمع العوالم الكبير ... وعبر ميدان باب الخلق أخذت طريقى إلى شارع محمد على ... وبخطوات قليلة وأصبحت داخل عالم « الهيء .. الميء ... وضرب الرق .. وسلام مربع .. » .

* * *

سعاد نجفة

على قهوة التاج وسط شارع محمد على كانت تجلس تشد أنفاس الشيشة بحرفنة وتتفرج على الشارع أمامها فى شرود ... وكل ما فيها ينطق بأنها عالمة أصيلة ..

حبكة الملاءة على جسدها ... ووجهها اللامع الناعم .. وحواجبها المزججة بدقة بالغة .. والكحل المختفى فى رموش عينيها كأنه كحل ربانى .. والذهب الكثير الذى يغطى صدرها وذراعيها ينطق بسنوات العمر الطويل الذى أمضته فى جمعه ..

كانت ست سعاد نجفة العالمة المعتزلة حاليا كما تقول تجلس على القهوة كعادتها فى كل عصر عندما جلست بجانبها تحت البواكى ... وشارع محمد على يروح ويغدو أمامنا متمخترا ...

شدت من الشيشة نفسا طويلا قبل أن تقول ..

قمر المصرية .. وحميده المناصره ... وأمال حسين .. ومنيره المعداوى .. كانوا ستات بمعنى الكلمة كلمتهم واحدة .. وما فيش منهم أى غلط .. كلهم اللى ماتت .. واللى حجت .. واللى ست فى بيتها .. أصل الكار مابقاش كار ... ده لم لمامه .. كل اللى هربانه من آهلها ... اللى هربانه من جوزها ..

اللى بيت الخدمة مزهقها .. أسهل حاجة عندها تلفع ملايتها وتحصل شارع محمد على تهز وسطها وتلون وشها وتقول أنا عالمه ...

الله يرحم أيام زمان .. كانت الأسطى العالمه تحسب حساب للفرح وأصحابه لازم ياخدوا حقهم تمام .. تلمنا أربع خمس بنات وتفتش علينا قبل ما نروح ... الماكياج مضبوط ولا لأ ..؟ ريحتنا حلوه ولا لأ ..؟ فيه فتق فى البدلة ..؟ فيه قطع ؟.. البدلة نضيفة ولا لأ ..؟ ونروح بيوت وزرا وباشوات ندخل فى أدبنا نقعد مع الستات .. وبعدين فى الفرح الأسطى تقعد على الكنبة تغنى وهيه قاعدة واحنا نرقص ... وفى الزفة الأسطى تمسك الرق تغنى واحنا نزف ... فى الفرح الكبير المعتبر .. كانت أحسن بنت تاخد ٥٠ قرش بالكتير والأسطى ٥ جنيه ..

للحـــب حكـــايات ..

للحب فى حياة ست سعاد نجفة حكايات ..

- منذ ثلاثين عاما شبك الهوى فى أحد الأفراح مع أحد الفتوات المجدع ... من أجل عيونه هجرت ست سعاد الكار سبع سنوات وهى فى عز .. عزها ..

وســـبع ســــنين الســــــنه دى
ونـــا بامـــــوت فى الضحكــه دى ..

- سبع سنين يانختى حكم فيا حكم قراقوش .. أشوف أمى كل ١٥ يوم ... وان خرجت أخرج بالبرقع أبو قصبة .. أيو صحيح القصبة ذهب .. لكن أهو برقع مدارى عنى الدنيا ...

- بعد سبع سنين جواز حنيت للكار تانى قلت له إنت من سكة ونا من سكة يابن الناس .. ورجعت لقيت الدنيا اتغيرت شويه .. لكن برضه كانت لسه دنيا ... فضلت اشتغل لغاية ١٥ سنة فاتوا لما الضرايب خلتنى ماشية أكلم نفسى ... كل يوم جواب وكل يوم مرسال .. مطلوب منك ... مطلوب منك .. لما زهقت وغلب غلبى .. إتجوزت وقعدت فى البيت ..

● أفراح زمان ...؟ هيه فين أفراح زمان .. ما بقتش تنشاف ولا فى الأحلام ... دلوقتى أى بلطجى بسنجه يقف ويقول أنا نقطت بثلاثة جنيه هاتوهم لاخطف الرقاصة اللى معاكم ...!!

● تيجى الحكومة اللى بتدور ع الضرايب .. تيجى تحمى الرقاصات ...!!..

« موسـيقه » الجمعيـة الخيريـة

● عند محل « موسيقه » الجمعية الخيرية وسط شارع محمد على توقفت .. كان الرجل العجوز بداخله يدير جرامافونا قديما ويهتز طربا على نغمات أغنية تقول كلماتها :

فى الليـــل مانامـــت عيونـــى
يحسبوا العاشـــق ينـــام
دا العاشـــق مغـــرم صبابـــه
ما عـــلى العاشـــق مـــلام
يا عنيه ... ســلامات يا عنيه ..

● كان الرجل بجسمه النحيل وحشمات وجهه الراقصة مع كل نغمة فى الأغنية صورة مجسمة لكل تاريخ الشارع الذى نقف فيه .. شارع محمد على ...

● على وجهه كانت تدق المزاهر .. والطبلة ... وتهتز عالمة أصيلة من عوالم زمان ..

● اضطررت أن أوقظه من نشوته فتلقانى بابتسامة ودود وخلع غطاء قديما للرأس عن رأسه وهو يحيينى ... عم سيد الجداوى صاحب محل « موسيقه » الجمعية الخيرية يقترب من عامه الثمانين .. لكن لأنه عاش عمره فى أنس وطرب فلا يبدو عليه سنه الحقيقى يبدو عليه الشباب أليس كذلك ..؟ هكذا تساءل فى سرور واضح ..

● عم سيد هو أقدم من فى الكار فى شارع محمد على حاليا .

● كان فى الأصل منجد بلدى وكان أبوه فى الكار ثم مات أبوه وخشى عم سيد أن « يضيع » إسم العائلة من الشارع كما قال فترك التنجيد وأقام فى المحل ليبقى إسم العائلة محفوظا فى عالم الهشتك .. بشتك ..



الشمعدان وأين هو الآن .. ؟؟

● يادى العمر الطويل ... هكذا قال عم سيد وهو يعتدل فى جلسته تاركا يديه تصاحبان الحديث بالنقر على مائدة صغيرة أمامه على واحده ونص ...

● المحل ده « اللى حافظ إسم العيلة » بيأجر الآلات الموسيقية النحاس للصنايعية ... صنايعية الفن يعنى

● النفير بعشرة صاغ .. فى الليلة .. والطبلة بخمسة والرق بخمسة ... ونا كنت فى زمانى ألعب ترمبيته .

● راح زمن الموسيقى النحاس الجميلة .. كانت فرقة حسب الله أحسن فرقة فى الشارع تتأجر بعشره جنيه فى الليلة وعددها ٢٤ نفر بالهدوم الصفرا .. وكان فيه فى الشارع ٧ محلات تبعها فرق « الموسيقه » النحاسى مابقاش غير ٣ .

● وآه يادى العمر الطويل ... الشارع ده كان ضحكة الأنس والحظ والفرفشة .. كان تحفة مصر اللى تفضل تلالى طول الليالى ماتنطفيش ..

● عاد عم سيد يغنى لنفسه بصوت خفيض وهو شارد النظرات ...

إن حبيــت ابقــى اعــذرنى
وهــات السـكينة واجــزرنى
حاعمـل لك شـيخ وتيجـى تزورنى
وحبيـــبى ....

● إنتابته نوبة نشاط مفاجىء وهو يقول ..

● ماحدش بقى بيقدر مزيكة النحاس .. مع إن أنا نفسى إتزفيت بمزيكة النحاس .. أنا نفسى ...

● وقف عم سيد بجوار مقعده وهو يشير بيديه بحماس ... خرجت المزيكة من هنا ٢٤ نفر لغاية بيت العروسة فى قصر الشوق وهيه بتضرب فى الشوارع .. وفى الفرح هات ياسلامات وصهلله لعبت أدوار .. كادنى الهوى .. جمالك يا فريد عصرك .. أفراح القبة ... محمد لابس سيفه ..

● كانت المزيكة بتضرب تحت والأسطى نبوية شخلع بتزفنى فوق عند الستات ..

عم سيد يقترب من الثمانين ومن غيره يمكن أن يحكى حكايات الشارع الطويل .. وعم سيد « لقطة » بحق وحقيق يعشق الحكايات ويحب أن يروى .. قال ..

- لو اتكلم كل حجر وكل باب بيت فى شارع محمد على حايقول عجب ويحكى حواديت أغرب من أى خيال ..
- مره واحد بيه من مدرسة المهندسخانه نازل من على سلم بيت أسطى زوبه الكلوباتية بعدما اتفق معاها تحيى فرحه على بنت ناس م المنيرة بعد جمعتين .. نازل على السلم .. إلا وصبية من صبيان الأسطى طالعه حافيه شاريه فحم من الشارع .. البيه وقفها وسألها عن إسمها ومن إيدها خدها ع المأذون عدل واتجوزها بدل العروسة ... ومن ٤٠ سنة عايشين مع بعض فى التبات والنبات فى العجوزة على وش النيل وولادها دلوقت مهندس .. ودكتور ..
- ومرة واحد موظف فى مديرية مصر عشق واحده عالمه عند بديعه مصابنى وصرف عليها فلوس الدنيا لكن قلبها كان مع واحد غيره .. أتاريه بيختلس عشان يجلب محبتها ولا فايدة .. وفى يوم كشفوا عنده فى الشغل عن الفلوس الناقصة وصبحوا حايبلغوا فيه البوليس ... علمت هيه من واحد صاحبه راحت خالعه صيغتها وسلمتها له يبيعها ويسد اللى خده وقالتله إوعى بعد كده تورينى وشك تانى . وكانت تجينى هنا فى الدكان أستلف لها الصيغة اللى تلبسها بضمانتى .

زمان .. والآن ..

الشارع دلوقت عباره عن إيه ..؟؟

- شوفى يا ستى شارع محمد على هوه شارع محمد على لا يمكن ينتهى أبدا من حياة مصر .. إلا لما الناس تبطل ضحك وفرفشة .. لكن بقى الشارع إتغير كثير أوى عن زمان ..
- زمان كانت العوالم فى الشارع على الصفين من كل شكل ولون .. وكانت

كل القهاوى اللى انت شايفاها ذى تحت البواكى مليانة أسطوات ومطيباتية .. كل مطيب له كذا عالمه يعرفها ويتفق معاها ... تيجى سيادتك مثلا تتفقى على فرح أو مقابلة أو زفة مطاهر .. تيجى القهوه وتتفقى مع المطيب على الموضوع وهوه فى الميعاد يجيب العربية الكارو وياخد العالمه وبناتها لحد الفرح أو البيت وياخد منك ومنها ..

- المطيباتية لسه لغاية دلوقت موجودين ويقعدوا على القهاوى من بعد العصر .. لكن بقى الشغل مش زى زمان زمان كانت الزفة تكلف صاحب الفرح ٢ جنيه غير النقوط ... دلوقت أقل زفة تتكلف ٤٠ جنيه ومفيش نقوط .

- زمان كانت الأفراح بس لوحدها تفتح بيت العالمه وصبيانها لكن دلوقت عوالم الشارع بينزلوا تياترات الأرياف والسيرك وملاهى شارع الهرم ..
- إيه .. يادى الزمن الطويل ...
- عاد عم سيد يقول .. الفرح زمان كان له أصول كان لابد من مزيكة النحاس تضرب قصاد بيت الفرح من أول النهار .. والأفراح كلها فى البيوت .

- بدعة النوادى واللوكاندات دى ماهياش تمام هوه صاحب اللوكانده حايبقى قلبه على اللوكانده ولا على الفرح ..
- كانت زفة العوالم لها أصول ولها شمخه .. العالمه تزف العروسة لغاية باب أودة النوم يقوم يفضل الفَرْح معاها على طول .. دلوقت العروسة تتجوز وتخلف ويمكن ماحدش يحس بيها .

- كان الفرح ثلاث ليالى على الأقل .. ليلة الحنة وليلة الجلوه .. وليلة الفرح .. دلوقت سلق بيض ليلة واحده وبس .
- ياما شفنا عز وأفراح .. أنا والفرقة مره رحنا فرح ابن البدراوى عاشور .. وكانت البدرة فى الزفة جنيهات ذهب .. لكن ماحدش من الآلاتية وطى ومد إيده على الأرض والجنيهات نازله زى المطر .. البدراوى عاشور إتبسط جدا حط إيده بعد الفرح فى خمسين جنيه للفرقة .

● عاد عم سيد الجداوى ينقر بيده على المائدة الصغيرة وقبل أن يعاود الحديث من جديد كنت قد تسللت ثانية إلى شارع محمد على ...

نظـــلة العـــدل

كان إسمها يتردد كثيرا على لسان الآلاتية والمطيباتية وزميلاتها القدامى ...

● قالوا لى إنها آخر من بقى من عوالم زمان على أصولهم ... لم تغير جلدها لتساير العصر .. لكنها احتفظت بأصلها حتى عادت الدنيا تسعى إليها فى هذه الأيام التى أصبحت الموده فيها هى العودة إلى القديم فى كل شىء ..

أيـــن نظـــلة العـــدل

● بحثت عن العالمة القديمة الشهيرة نظله العدل فوجدتها فى ظهر حارة العوالم فى باب الخلق « فى درب الرخام » تسكن بيتا قديما متهالكا .. لكن هواه يرد الروح كما قالت لتشرح سبب تمسكها به إلى الآن .

واسمحوا لى أن أترك القلم يكتب كما تكلمت تماما دون أى تدخل فى الصياغة ..

● قالت .. أنا مش عالمه ..!! « أمال إيه ..؟؟ »

● أنا فنانة كبيره أوى ... جدى أبو أبويا كان عالم كبير من عيلة كبيرة أوى .. بس عيلة أمى كانوا أصلا عوالم .. أنا باكلمك بصراحة .. أبويا حب أمى واتجوزها كانت بتقرأ قرآن وتحيى هيه وفرقتها المقابلات عند ستى أم أبويا ...

● أمى هيه العالمه « سُلُمْ » اللى كتب عنها سى توفيق الحكيم ياعينيه ..

● مش حا .... قولك ... حا .. جه لأ دانا فنانة كبيره أوى مش فنانة صغيرة .. جدى أبو أبويا من عيله كبيرة أوى ..

● أنا فن مافيش حد يعرف يعمله .. لكن إيه .. خدى بالك .. أنا باكلمك الجد .. جدى أبو أبويا الشيخ ابراهيم العدل من أعيان الدقهلية كان مع الشيخ المراغى شيخ الإسلام يسافر وياه فى كل البلاد .

● أستاذنا الكبير سى توفيق الحكيم عامل عن أمى حاجات وحاجات ... لما جه

مدير الكتبخانه رحت له أنا وأمي وقاللها إزيك يا أسطى « سُلُمْ » واداها فلوس « غريبة » ..

- أنا أبويا ضيع عشرين فدان على بنات المنصورة وهربت من مرات أبويا وجيت لأمي فى مصر جوزتنى لراجل فنان عواد بقالى معاه ٤٠ سنة آدى السبب يا حبيبة قلبى ...!!
- أنا اشتغلت مع الست رئيسه عفيفى .. أسطى كبيره أوى .. وكانت بتمسك أفراح كبيرة ... أنا فنانة كبيرة أوى .. وباشتغل دلوقت مدربه ..
- العوالم دول أحسن ناس فى البلد وكانوا بيخشوا لأحسن هوانم البلد .
- يا أختى أنا كلى فن ياروح قلبى لكن ما احبش أتكلم عن نفسى .. أعوذ بالله من قولة أنا ..
- أنا طلعت لقيت عمى أخو أبويا عامل فرقة تمثيل واشتغلت معاه .. أحمد العدل الفنان العظيم .
- أنا حاليا بادرب الرقاصات .. بادرب رقص شمعدان وشرقى ورقص العوالم وشرقاوى ونوبى واسكندرانى .
- أنا كل الصحافة بتجينى هنا وكل المصورين اشتغلت فى الفن وناسن ١٢ سنة .. رياضية وغاوية الفن ولما بطلت الفن عييت وخسيت .. كان وزنى ١٢٠ كيلو دلوقت بقيت ٩٠ .
- أنا حاعمل فيلم فيه قصة حياتى .
- نظله العدل دى بقى ياعينيه ماحدش حايعرف يعمل الحاجات اللى عملتها .. الشمعدان بتاعى ٢٠ كيلو .. بنات اليومين دول بيرقصوا بشمعدان كيلو واحد .
- أنا نظله العدل الفنانة الكبيرة .. اللى كانوا بيشيلوا لنا الشنط بقوا أصحاب فلل وعمارات لكن احنا ضيعنا اللى كسبناه ع الفن والأولاد وأبويا ضيع فدادينه على بنات المنصورة « هذا أيضا من ضمن الفن » ..
- والنبى ماتنسيش تكتبى عنوان البيت وتقولى إن أنا باحب نجوى فؤاد وسهير ..
- وانتهت مقابلة نظله العدل دون أن أنطق بكلمة واحده .. هل بعد كل هذا الفن ما يقال ..؟؟

ومن ميدان باب الخلق إلى شارع محمد على ثانية أرهف أذانى لعلى ألتقط نغمة سيكا أو نهاوند .. أو ضحكة رائقة لعالمه تستعد لسهرة ليل طويل . لكن أذنى لا تلتقطان شيئا غير ضجة الترام وكركبة فى الشارع الضيق .

فى أحد دروب الشارع الضيقة صعدت كما وصف لى عم سيد الجداوى سلما طويلا ضيقا حتى حجرة ضيقة مزدحمة بالأثاث .. وعلى السرير المكان الوحيد للجلوس فى الغرفة جلست أمال أحد عوالم السوق حاليا ..

- أمال فى حوالى الأربعين من العمر .. ورغم جلابية البيت التى ترتديها فهى مهذبه .. تلمع فى شعرها صفرة الأكسجين .. وأظافرها مطليتان بلون أحمر فاقع وحولها أربعة أطفال وسيده عجوز تستروح الهواء بجانب النافذة ..
- فى الحجرة فى ازدحام شديد سرير واحد ومرتبتين وثلاجة ومرآه .
- أمال فى الكار منذ عشرين عاما .. غوت الفن بلا أسباب فلم تتردد وانضمت على الفور للكار ..
- من علم نبوية وشهرتها فى الكار أمال فن العوالم ..؟
- علمتها الأسطى دولت أم صبره أسطى كبيرة أوى فى الكار ..
- إشتكت أمال من الكثير .. والكثير .. شكت من الزمن الغدار .. ومن الكار .. ومن الشارع الضيق .. ومن أحمد فؤاد حسن نقيب الموسيقيين .
- فأما الزمن فقد سلبها الكثير .. سلبها الزوج الذى أنجبت منه الأربع أطفال « كان عيل ... ونا عيله » .. كان تلميذ وبيلعب أكرديون ورايا فى الفرقة ونا بارقص عشان يحصل مصاريفه .. حصل النصيب واتجوزنا وخلفنا الأربع عيال ... إتخرج مدرس واشتغل سابنى وساب الأربع عيال واتجوز واحده مدرسة زميلته ورمانى ورمى العيال .. باصرف عليهم من بدلة الرقص .

ومنين أروح يا عين م الوعد والمكتوب
واللى جرى يا عين شىء ع الجبين مكتوب

- وأما الكار فلم يعد ... كان زمان من ١٥ سنة تقبض أمال فى الفرح نص

جنيه وكان يكفى ويزيد أما الآن فتقبض ٢٠ جنيه تصرفهم قبل أن تراهم يأخذ المطيب الذى يأتى لها بالشغل إتنين جنيه ويأخذ الذى يأتى لها بالعربة ويدلها على العنوان جنيه وتتكلف بدلة الرقص ٢٠٠ جنيه وكانت من ٢٠ سنة لا تزيد عن ٢٠ جنيه .

● ساعات ياختى بيجى عليا يوم الخميس ونا قاعده أهش عند المطيب وألاقى ناس أى كلام راكبين التاكسى ورايحين الشغل .. صيغتى كلها بعتها عشان آكل أنا والعيال .. عندى بدلة رقص واحده وباشحت من زميلتى فى نفس كسمى بدلتها .. والأوده دى فيها أنا وأولادى واتنين اخواتى وأمى وأختى المطلقة وحماتى اللى قاطعت ابنها بعد ما طلقنى ومارضيتش تسيبنى .

● وعن شارع محمد على قالت « أمال » « نبوية سابقا » .. الشارع هنا بقى وحش أوى .. جدوا علينا ناس فى الشارع معاهمش كارنيه نقابة أو تصريح دول اللى بيبوظوا سمعة الشارع ... كل رقاصة تنخطف وتكتب فضيحتها فى الجرائد يقولوا محمد على ..

● وعن أحمد فؤاد حسن قالت أمال .. أقدر أفهم أحمد فؤاد حسن بيدى الكارنيهات والتصاريح دى على أساس إيه ..؟ ده كل من هب ودب بقى معاه كارنيه .. بوظوا علينا الشغل قبل ماتدى كارنيه إتحرى عنهم .. إعمل لهم فيش وتشبيه ..

حســب الله الأول ..

من يستطيع أن يذكر شارع محمد على دون أن يذكر أشهر اعلامه .. المعلم حسب الله صاحب فرقة الموسيقى النحاسية الشهيرة ... هذه الموسيقى التى ملأت بالبهجة كل أفراح مصر منذ ما يقرب من سبعين عاما وكانت فرحة الناس وبهجة الأطفال حين كانت تمضى فى الشوارع حاملة آلاتها النحاسية الضخمة فى طريقها إلى أحد الأفراح ..

● إلى أين انتهت فرقة حسب الله الآن ..؟؟

● على نفس قهوة التاج الشهيرة فى أول شارع محمد على يجلس الآن محمود شلبى هلال عازف الكورنيت فى فرقة حسب الله الكبير منذ خمسين سنة ..

● لم يعرف محمود شلبى هلال طيلة حياته غير ضرب الكورنيت الشبيهة

بالطبلة ... ومن دقات أصابعه على الكورنيت عاش أيام عز كثيرة .. ويعيش الآن أيام ضنك عسيرة .

- فى أيام المعلم محمد حسب الله الكبير كان لا يمر يوم بدون عمل لذلك كان محمود شلبى هلال يقتنى بذلتين صفراويتين تلمع أزرارهما النحاس باستمرار وكان يقبض فى الليلة ١٠ أو ١٥ قرشا على الأكثر ولم تكن تجىء أيام بطالة أبدا .. ليه بقى لأن الناس كانت رايقه وفايقه والقرش له قيمة .. إن ماكانش فيه فرح .. كانت تبقى زفة مطاهر .. سبوع .. زفة عفش يبقى واحد طلع م الجيش .. كانت الناس بتخلق المناسبات السعيدة وتفرح نفسها ...
- ٢٤ نفر كانوا فى الفرقة .. وكانت أحسن ليلة بعشره جنيه والمواصلات على حسابنا ... مات حسب الله الكبير الفرقة اتشردت ... إبتديت ألقط رزقى من هنا وهنا لغاية الشغل مانام خالص والناس قربت تنسى المزيكة النحاس .
- إستجمع محمد شلبى هلال كل قوته وهو يقول .. آنا سمعت الحكومة بتقول التأمينات لكل فئات الشعب .. هوه إحنا بتوع المزيكة النحاس نبقى برضه من فئات الشعب ...؟ هه ..؟؟ .

شـــربات :..

- أمام محل عم سيد الجداوى وجدت « شربات » ..!! شربات عالمه من ٢٥ سنة بدأت وعمرها عشر سنوات مع أسطى المطيب الذائع الصيت وكانت فى أول أمرها تحمل الشنطة للأسطى العالمه .
- قالت .. أنا مطربة شاطره وأغنى كل الأغانى ...
- ما اقبلش أروح أفراح شبرا مثلا ولو حابات من غير عشا . مره فى شبرا نطيت من سطح لسطح عشان كانوا عايزين يخطفونى ... لكن أحب الدرب الأحمر والباطنية عشان بينقطوا كويس أوى ..
- كنت متجوزه زميلى فى الفرقة ومات وساب لى الهم اللى ما بيخلصش و٣٠ عيال بارلى فيهم وامه العاجزه اللى ولادها الرجاله رموها من زن نسوانهم حارميها ..؟ أهى قاعده وربنا بيرزقنى برزق الجميع ...؟؟
- أنا دايما فى الفرح تحت أمر الناس وطلباتهم وأغنى كل حاجه من ورده وفايزه

لشادية ونجاة الصغيرة لكن لو سابونى أغنى اللى فى ضميرى حاقول ..

أيها الراقدون تحت التراب ...!!

المطيباتى ..

فى دكان صغير يبيع الحلويات البسيطة ويبيع أيضا آلات موسيقية كالرق والطبلة والعود وجدته ...

- رأفت هلال فى الكار منذ خمسين عاما .. مرت عليه جميع عوالم الشارع .. قال ...
- كلهم اشتغلت معاهم ... الأسطى زوبه الكلوباتية كنت باخدها الأفراح باتنين جنيه بالشمعدان .
- دلوقت أقل بنت رقاصة ومش أد كده بتطلب ٣٠ و ٤٠ جنيه وإماره فوق الوصف ..
- التليفزيون كان يطلب منى بنات للبرامج والرقصات والتمثيليات وكنت باودى محمد رشدى فى الفرح بتمانين جنيه .
- الضرايب طلبت منى ٤٩٠٠ جنيه عن خمس سنين قفلت الدكانه وفتحت محل الحلويات والعدد أأجرها للموسيقيين .
- الصنعه باظت يا هانم .. وشارع محمد على راحت عليه من بعدنا .

يا محلا جمالك يا عروسه ..

من الثلاثينات وحتى اليوم أحلى ما يطرب الأذن فى زفة العروسة هى أغنيات معينة عاشت واستمرت حتى الآن ..

- من منا لم تهزه إتمخطرى يا حلوه يا زينه .. ويا محلا جمالك يا عروسه .. وزيدوا الفرح واسقوا الشربات .. عروستنا حلوه ما فيش منها .. ومبروك عليكى عريسك الخفه يا عروسه يا زاينه الزفة ..
- كلها أغنيات لملحن واحد ارتبط إسمه بأغانى الفرح والزفة وارتبطت حياته بالأسطى سيده حسن أشهر من أدت هذه الأغنيات وأشهر من زفت عرائس مصر فى زمانها ..
- فى خان الخليلى يعيش الآن ملحن أغنيات العرائس التى رقصت عليها كل راقصات شارع محمد على منذ خمسين عاما ويزيد .

- زكى فوزى الملحن يقول .. كان للطرب والفرح أوان ويبدو أنه قد انتهى الآن .. هكذا بدأ كلامه معى .. « كان الفن للفن ولانبساط الناس وليس للتجارة أو بناء العمارات .. إسعاد الناس ورضاهم كان منتهى نجاحنا ومطلبنا ..
- عم زكى وزوجته كانا أشهر من زفا العرائس فى زمانهما ... كانت سيده حسن تغنى فى الزفة إحدى أغنياتها الشهيرة وعلى نغماتها ترقص الراقصة ..

زواج ابن المراغى :

- يقول عم زكى أنهما أحيا زفاف إبن الشيخ المراغى شيخ الإسلام وإبن عثمان محرم وزير الأشغال الوفدى القديم .. وشقيق سى صالح عبد الحى أشهر مطربى زمانه .. وكان مقابل الزفة ثلاثين جنيها فقط شاملة أجر الفرقة الموسيقية والراقصات وست سيده .. وكان صاحب الفرح يضمن نقطة قدرها عشرون جنيها إن قلت عن هذا القدر أكملها هو من جيبه وإن زادت كانت من نصيب الفرقة .
- كان الجنيه كما يقول عم زكى أيامها عشرى يمكث فى الجيب أياما وأيام ..

فى عام ٦٣ توفت ست سيده فجأة وهى على سجادة الصلاة وكانت قد احتجبت عن الزفة والأفراح منذ عام ٥٣ ... لكن أغانى الفرح لا تنتهى ومازالت المزاهر تدق .. يا محلا جمالك .. واتمخطرى ومبروك عليكى ...

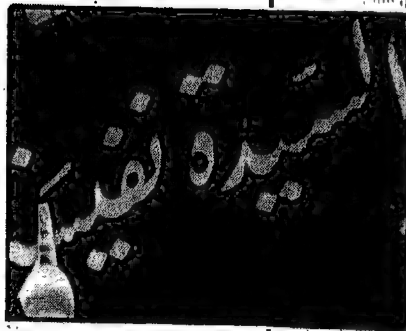
- ويبقى أيضا شارع محمد على ..
- وفى كل فرح مهما كان مستواه لابد من ظل لهذا الشارع الشهير ... إما راقصة منه أو طبال أو عواد .. أو موسيقى عجوز .. أو حتى المطيب الذى اشترك فى إعداد هذا الفرح .
- آما الاسطوات ... اسطوات شارع محمد على اللاتى صنعن شهرته ومجده القديم فقد رحن وراحت أيامهن ...

....

....

....

حارة السيدة نفيسة



أهدأ حارة فى القاهرة .. لا يدخلها الحر أو الجريمة ..

جاءت الراقصة تدعو فتركت زوجها وأقامت بجوار الست ..

٣ أئمة فى مساجد مصر لا يحالون إلى المعاش ..

هى أهدأ حارة فى القاهرة .. والوحيدة التى تخلو من أى مظهر للخروج على الأمن أو الانحراف فى أية صورة ..

وهى المكان الذى يتسابق إليه رجال الشرطة يودون لو كان مقرا لعملهم ونشاطهم .. أو بمعنى آخر مكانا لراحة بالهم وهدوء نشاطهم ..

وهم لايدرون سببا لقلة الجرائم أو المتاعب فى هذه الحارة الصغيرة .. وهناك سبب فى اعتقادهم لهذا الهدوء والأمن .. إنه بركة الست التى حلت بالمنطقة أليست بحر العطايا .. وكريمة الدارين ..!!

ومع ذلك فالحارة الصغيرة التى تقع يسار مسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها والمسماة باسمها «حارة السيدة نفيسة» تضم مجموعة غريبة من الناس .. غريبة حقا ..

بجوار السيدة الطاهرة .. وفى الحارة الضيقة التى تضم حوشين للمقابر ومسكنين وخيمة صغيرة ودكانين صغيرين ومنزلا كبيرا مهيبا هو منزل شيخ جامع السيدة نفيسة .. فى هذه الحارة الصغيرة يقيم فنان يلعب بالعرائس للاطفال .. وراقصة سابقة اعتزلت الرقص وأقامت بجوار الست حبا فيها وتشفعا بها واستغفارا عما سبق من أيام ..

ويقيم أيضا بقال الحارة .. ويقع هنا مدفن محمد فريد قبل أن ينقل إلى القلعة .. ومجموعة من الناس يختلفون فى المذاهب والمشارب لكنهم وفى النهاية يجتمعون فى حب السيدة الطاهرة ابنة سيدى حسن الأنور بن زيد الأبلج بن أبى محمد الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه وابن السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانة قلبه ..

ولدت بمكة ١١ ربيع الأول سنة ١٤٥ هجرية فى خلافة أبى جعفر المنصور وماتت فى القاهرة فى أول أيام رجب سنة ٢٠٨ هجرية ..

حارة السيدة نفيسة حارة ضيقة يحدها من اليمين سور المسجد وتحتل مساكنها الجانب الأيسر من الحارة التى حباها الله بشىء غريب للغاية .. فمهما اشتد قيظ القاهرة ولهيب صيفها فالحارة رطبة على الدوام .. من يدخلها كأنما انتقل إلى مكان آخر لايمت بصلة للقاهرة القائظة المشتعلة بلهيب الصيف ..

فى مدخلها يقع منزل كبير على الطراز الفاطمى بالمشربيات الخشبية هو منزل شيخ جامع السيدة نفيسة السيد أحمد محمد عبدالحافظ الذى ورث المشيخة عن أبيه فجده إلى خمسمائة سنة مضت .. فمنذ عهد سلطان مصر سليم الأول والمشيخة فى آل عبد الحافظ ينالون شرفها أبا عن جد ..

حجرة الشيخ بالمسجد رغم صغر حجمها يملأ الهواء جوانبها ويفيض عليها لونا من الوداعة والسكينة الحلوة .. وفى داخلها يقضى الشيخ أحمد عبدالحافظ يومه من الفجر حتى صلاة العشاء .. ورغم سنوات الشيخ أحمد التى جاوزت الثمانية والستين فهو لايزال بادى النشاط موفور الهمة ..

كرامـات الســت ..

فى رحاب السيدة نفيسة وفى قلب مسجدها أمضى الشيخ أحمد عبدالحافظ سنوات حياته منذ عام ٤٨ حتى اليوم ولايتمتع بهذا الامتياز فى القاهرة غير ثلاثة شيوخ لثلاثة مساجد هم .. شيخ مسجد سيدنا الحسين .. وشيخ جامع الحنفى وشيخنا هذا .. أما بقية شيوخ المساجد فيعينون على درجات وظيفية من وزارة الأوقاف ويتركون مساجدهم عندما تدق ساعة العمر الخامسة والستين ..

من ضمن مهام شيخ الجامع أيضا أن يشرف على فتح صندوق النذور مرة فى كل شهر فينحى جانبا ثلاثة أرباع المبلغ حقا خالصا لوزارة الأوقاف ويخصص الربع الباقى للمسجد ومصروفاته ..

صادف الشيخ أحمد – مرة – أكبر مبلغ صادفه فى صندوق النذور وكان ثلاثة آلاف جنيه فى أحد شهور مابعد نكسة ١٩٦٧ ..

يوم العمل المتصل فى كل أسبوع هو يوم الأحد «فحضرة» السيدة نفيسة تتم كل يوم أحد وتستمر بعد صلاة العصر وإلى مابعد العشاء .. يقام الذكر وتقرأ دلائل الخيرات ويلقى الدرس الدينى أحد الأئمة المتطوعين ..

أما المولد ففى يوم الأحد الأخير من جمادى الأولى وينتهى فى أول أربعاء يجىء بعد ١٢ يوما من بداية المولد ويأتيه الناس من كل مكان ويتحول الميدان إلى نهار دائم لا يأتى ليله أبدا ..

كرامات سيدنا الشيخ ..

وعن كرامات الست ياسيدنا الشيخ ..؟؟

فى سكون تام مد الشيخ يده بكوب ماء مثلج ملأه من جهاز تبريد فى أحد الأركان له مواسير تمتد إلى حيث يشرب الناس وابتسم الشيخ فى هدوء وقال ..

ستنا الطاهرة حياتها كلها منذ منبتها كرامات وفيض من الأنوار والهدى .. فقد زوجها جدها الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى من ولدت بعد خمس وأربعين ومائة عام من هجرته فقد كان إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق يخطبها إلى أبيها وهو يرفض زواجها لصغر سنها فذهب إسحاق المؤتمن إلى الحجرة النبوية وخاطب جده الكريم صلوات الله عليه وسلامه قائلا .. «يارسول الله .. إننى خطبت نفيسة بنت الحسن منه فلم يرد على جوابا وإننى لم أخطبها إلا لخيرها .. ودينها .. وعبادتها» ..

وفى تلك الليلة رأى والد السيدة نفيسة فى المنام النبى صلى الله عليه وسلم يقول له «ياحسن زوج نفيسة لإسحاق المؤتمن» .. وقد حجت رضى الله عنها ثلاثين حجة وكان الغالب عليها المشى ..

وفى بيت أبيها نشأت بالرغم مما يحيط بها من مظاهر الترف نشأة الزهادة والتقشف فكانت تأكل كل ثلاثة أيام مرة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها فكانت كلما اشتهت شيئا وجدته فى السلة وعاشت عمرها كله صائمة ما أفطرت إلا فى العيدين وأيام التشريق وتوفاها الله وهى صائمة ..

لحارة .. والجوار ..

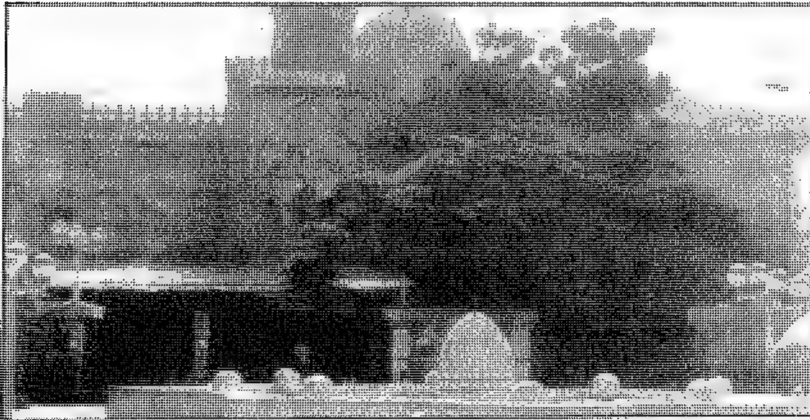
وندلف إلى الحارة الصغيرة الضيقة فيصادفنا فى البداية محل صغير للبقالة لم يعتن صاحبه بتنسيقه ..

صاحبه كمال أحمد سالم تزوج عام ١٩٦٠ وانجب سبعة من الأولاد بارك الله فيهم جميعا .. بهجت فى الثانوية العامة سيصبح طبيبا بإذن الله .. وإيمان فى الثانوية العامة أدبى وستصبح مدرسة عربى ومصطفى ويحيى وحنان وسميرة ونعمت كلهم متفوقون فى دراستهم وسيفلحون بإذن الله وبركة الست الطاهرة .. قال ..

ماعرفش يعنى ايه مباحث التموين .. حد يبقى فى جوار الطاهرة ويعمل الغلط .. ولا مخالفة واحدة من يوم ما استلمت المحل من ابويا من ١٧ سنة .. نخالف ليه وننهب ليه .. القرش الحرام بياخد القرش الحلال فى وشه ويروح .. بصراحة أنكسف من الست لو عملت الغلط ونا جارها .. فى الحالة دى أمشى من هنا الأول ..

كلها أرض الله ..

ندلف ثانية إلى الحارة فنجد خيمة بها من كل لون رقعة .. الخيمة مسدودة ينبعث من تحتها بكاء طفل صغير احترت كيف أنفذ إلى داخلها وهى مشدودة بالحبال .. فجأة خرج من تحت الرقع جسد صغير يحبو .. خلفه اندفعت أمه تريد أن تسترده ..



السيدة نفيسة .. الأمن .. والهدوء ..

داخل الخيمة الصغيرة يوجد كل شيء خطر يمكن تصوره وابور غاز مشتعل تحيط به من كل جانب الخرق والهلاهيل وتكاد ناره تصل إلى سقف الخيمة .. ولمبة غاز مطفأة وقلة ماء .. وبعض الأوانى وحجارة كبيرة بيضاء تحيط بكل هذه الأشياء لتمنع أطراف الخيمة من الإنفلات ..

ساكنة الخيمة هى نادية السيد صالح زوجة نبيل أحمد سلام العامل بالبلدية .. منذ شهرين تقيم نادية وزوجها وطفلهما حسين بهذه الخيمة .. ضاقت بهم الدنيا عن أن يجدوا مسكنا لهم ولم يضق بهم جوار الست الطاهرة حتى الجيران الذين سدوا عليهم الحارة الضيقة بهذه الخيمة لم يضيقوا بهم .. الست كريمة وجوارها أكرم كما قالت نادية ساكنة الخيمة ..

خطوات أخرى بعيدا عن الخيمة ويبدأ جسم الحارة الحقيقى فى الظهور .. أمامى بابان لحوشين للمقابر .. قبل أن أدق باب أولهما رأيت أمامى أمينى شرطة يسألان بأدب شديد عماأفعله .. وبسرعة أظهرا تفهما واضحا لمهمتى ..

أحدهما أمين الشرطة نبيل المليجى رئيس نقطة السيدة نفيسة الكائنة فى الميدان قال ..

أنا هنا من ثمان سنوات كاملة .. ولاأحب أن أنقل رغم أننى أجى من حلوان كل يوم ورغم صعوبة المواصلات لكن الراحة النفسية التى تغمرنى كلما نظرت من شباك النقطة لتلتقى عيونى بالمأذنة والقبة تشدنى إلى المكان ..

مشاكل الأمين نبيل ليست فى حفظ أمن السيدة نفيسة ولكن فى السكن الذى يبحث عنه دون جدوى منذ أربع سنوات هى عمر خطبته لزميلة فى كلية الآداب .. فالأمين نبيل يدرس بكلية التجارة وقد وصل الآن إلى السنة الثالثة بها ..

أمين الشرطة الثانى المكلف بحفظ الأمن فى المنطقة هو عيد كامل عبد المقصود .. ست سنوات أمضيتها هنا ولم أشهد جريمة واحدة ..

مشكلة الأمين عيد الشخصية هى نفس مشكلة الأمين نبيل فمنذ سنوات ثلاث وعيد عبد المقصود يبحث عن مكان يضمه وفتاة أحلامه التى تمناها

وانتظرها طويلا .. الأمين عيد قرر أخيرا أن يقطع نصف الطريق .. سيتزوج فى الشهر القادم ويقيم مع أهله فى المحلة الكبرى ويأتى إلى مكان عمله طيلة الأسبوع كما كان ولعروسه يوم الأجازة فقط ..

نهاية ليست سعيدة كما نرى فى الأفلام .. !!

أسـطورة ليـلى ..

أتقدم خطوات أخرى فى الحارة ندية النسمات .. وقبل أن أمد يدى لأدق على الباب الكبير المقفل على أول الأحواش يهل من طرف الحارة البعيد وجه مليح تحمله رقبة طويلة على قوام ممشوق تبتسم ملامحها فى وداعة وهدوء .. رغم الثوب الأسود الفضفاض فرشاقة قدها لا تخفى على العيون ..

هتف الصبية الصغار الملتفين حولى .. أبلة ليلى .. أهه ..

مرت ليلى بجوارى وألقت السلام فى صوت خفيض وهى تحمل صينية من الألومونيوم الرخيص عدة الشاى ..

وكانت الحدوتة ..

بداية ليلى شعبان عبد الجواد منذ خمسة عشر عاما كانت فى مكان آخر تماما ..

بدايتها كانت بكازينو صفية حلمى بميدان الأوبرا راقصة تهز وسطها كل ليلة لرواد المكان وبعد انتهاء نمرتها تجالس الرواد ..

أعوام خمسة عشر وليلى تمارس نفس العمل فى نفس المكان .. لا تفكر فى أى شيء عدا ما ستقدمه فى الليلة التالية من جديد للرواد .. وتزوجت ليلى .. وانجبت بنتا وولدا أخذا عنها الجمال ..

وفجأة .. ألم بها مرض شديد حار فيه الأطباء .. ظلت ليلى تعانى من الصداع المستمر ليل نهار لمدة عام ونصف عام ..

تغيرت معالم وجهها بفعل الألم المستمر وأنفقت الكثير لتعود لها البسمة التى تهبها لرواد الملهى ولكن لا فائدة ..

وجاءت إلى السيدة نفيسة تدعو ربها .. وكما مرضت فجأة .. شفيت فجأة ورحل عنها الصداع .. !!

وتقول ليلى ..

فى أيام قليلة انكشف أمام عينى عالم بشع رهيب هو ماكنت فيه .. أصبح الموت عندى فى كفة وأن إلى الرقص ومجالسة الزبائن فى كفة أخرى .. شعرت أن مصيرى ارتبط بالمكان .. وأنى لن أطيق بعدا عن الست بعد الآن ..

زوجى ..؟؟

تركنى بعد أن حاول عبثا آن يردنى إلى حياتى الأولى وتركت له شقة فى ميدان رمسيس وسيارة ومصوغات بآلاف الجنيهات ..

تخون ليلى الكلمات وهى تحاول أن تشرح كيف تشعر بانتمائها إلى الست وإلى المقام ..

كل من يأتى إلى المقام يزور ليلى ليشترى منها شيئا أى شىء من الحلوى البسيطة التى تبيعها .. والفضول جزء أساسى فى نفس أى إنسان .. ومن يقاوم الرغبة فى رؤية الراقصة التى خلعت ثياب الرقص وارتدت ثياب الزاهدين بعد زيارة المقام ..؟؟

مفاجأة بين القبور ..

أمد يدى أخيرا لأدق على باب أول الأحواش .. الدق على الباب الخشبى يرن فى انحاء الحارة الضيقة الساكنة وينفتح الباب عن وجه شديد الحلاوة لشقراء مصبوغة الشعر بالحناء .. وفى يديها قطع الغسيل..

زينب حامد على سليم تتحرك وورائها أفخر المفروشات تتناثر بين عدة قبور داخل الحوش .. قالت ..

مالها الترب ..؟؟ راحة وهدوء .. البداية والنهاية هنا مش محتاجة لواعظ يشرحها ..

أخاف من أيه ..؟؟ ده اللى يخاف مايبقاش مؤمن ..

عندى راديو وتليفزيون وغسالة وجوزى نجار مسلح أد الدنيا ..

أطلع أروح فين ..؟ ده أنا طول عمرى هنا .. وبعد ما أموت برضة هنا .. أصل ابويا هو التربى بتاع الحوش ..

المستقبل فى علم الله .. لكن كل منايا الستر وتربية الأولاد ..

المفاجـأة الثانيـــة ..

لم تكن الشقراء الشعر وسط القبور هى المفاجأة الوحيدة فى حارة السيدة نفيسة ..

على بعد خطوات فى الحوش المجاور .. وبمجرد أن انفتح الباب فوجئت بمهرجان من الألوان الزاهية يستقبلنى وقطع من الستان اللامع تتطاير حول خشبة مسرح صغير للعرائس يحتل بملحقاته مساحة من الحوش ..

أمام عينى مسرح عرائس حقيقى فيه الراقصة المغندرة التى تلمع حول وسطها حبات الترتر الصاخبة .. وثعلب متقن الصنع .. وديك .. وسلطان مهيب كبير العمامة وشهرزاد صغيرة بعباءة مغرية مطرزة بالألوان ..

وبجوار كل ذلك وقف الفنان .. عم على عبد البارى صالح يقترب من الستين لكنه يحتفظ بحيوية بالغة وأصابع غاية فى المرونة يحرك بها عرائسه من وراء الستار ..

من حبه للأطفال وأولهم اولاده دلال ومايسه ومنى وعمر وحياة الذين أصبحوا الآن كبارا صنع عم على هذا المسرح المتنقل للأطفال .. كانت حياته من قبل تدور فى تلك الأسلاك الكهربائية والأجهزة التى تعطل فجأة فتحتاج إلى من يداويها ..

فى يوم ما وهو فى الثامنة والخمسين قرر أن يكون لحياته هدف واختار رسم ابتسامة على شفتى طفل محروم من الثقافة والترفيه وماأكثرهم .. هم يملأون كل حارة وشارع فى الأحياء الشعبية فى قاهرة المعز ..

وبدأ عم على يتسلل إلى عالم العرائس دون أى خبرة إلا من رغبة قوية فى عمل شىء بهيج للصغار ..

دفع كثيرا فى البداية .. دفع تحويشة العمر كلها ليتعلم كيف يصنع عروسة وكيف يحركها .. استعان بمن يصنع له العرائس وبمن يؤلف قصة ويضع موسيقى وتكلف كل هذا مبلغ الـ ١٥٠٠ جنيه التى انفق عمره فى ادخارها ..

قال لى .. نفسى أعلم الطفل المصرى فى الحوارى والقرى والنجوع على لسان العروسة إن الطلاق بيكسر القلب ويقتل الطموح ويطفى البهجة ..

والتمعت الدموع فى عين الكهل الذى مازال يذكر انه نتاج أسرة حكم عليها الطلاق بكسر القلب وقتل الطموح وضياع البهجة من النفس ..

عم على يحتضن العرائس ويقدمها لى كأنها أولاده فعلا .. لكن المسرح بلا صوت .. ففى اللحظة التى كان من المفروض أن ينطق فيها توقف العمل كله لأن النقود نفدت والمسرح يحتاج إلى جهاز تسجيل كبير ليصل صوته إلى أذن كل طفل ..

لم يجد عم على ما لايشترى به الجهاز بعد أن أنفق كل شىء فى سبيل مسرحه الصغير .. اتجه عم على إلى بيت صغير لأمه يملك فيه قراريط على المشاع .. عرضه للبيع فلم يجد شاريا لهذا النصيب ..

لكن لان للقصة الجميلة البداية .. من نهاية .. فهل من محب للأطفال وللفن الإنسانية يمد يده لعم على بثمن الجهاز ولوعلى سبيل القرض كما أوضح .. واصر ..

أليست كرامة جديدة للست أن يوجد عم على فى جوارها ليمنح سنوات عمره الأخيرة للأطفال .. أحباب الله ..؟؟

شهيد هوى بلاده ..

الصبية الصغار الذين لاحقونى منذ وصولى مفتونين بجهاز التسجيل الصغير وبالاهتمام المفاجىء بحارتهم الصغيرة الضيقة أصروا على أن يصحبونى إلى حوش قديم فى نهاية الحارة مصرين على أن فيه شخصا هاما .. لابد أنك ستعرفينه يامدام ..!!

مشيت معهم فوجدت نفسى فى حوش مهجور تآكلت درجات سلمه وانخلع بابه ووجدت عمودا رخاميا صغيرا يستقبلنى بكلمات محفورة عليه تقول أن المدفون هنا «هو شهيد هوى بلاده الزعيم الوطنى الكبير محمد بك فريد» ..

بحثت عن التربى الذى يرعى المدفن فقالوا لى إنه موظف صباحا وتربى فى المساء .. وجاء أحد أقاربه فقال لى إن جثمان الزعيم الكبير نقل منذ فترة إلى القلعة بجوار رفيقه فى الكفاح مصطفى كامل وإن الحوش للعائلة الآن ..

خرجت فى طريقى إلى الميدان والشمس قد أخذت طريقها للمغيب وقبل أن أخرج من الحارة تقابلت مع آخر من يسكنها من الأحياء .. انه نصر عبد العزيز محمود.قال ..

أنا من سوهاج ..

عندى كشك مرطبات فى ميدان السيدة نفيسة وكنت فى الأول جزار نزلت المدبح كلونى المعلمين الكبار ..

أول مانزلت مصر قرايبى الصعايدة عايزين يكرمونى قالوا لى نقى القرافة اللى تعجبك تسكن فيها وترتاح ..!!

سكنى القرافةمنفعة للجميع .. أصل الحوش اللى مش مسكون يتخاف على شبابيكه وأبوابه تنشال .. كان احنا معمرين الاحواش ومانعين منها الحوادث .. لكن بقى ولامؤاخذة ساعات أصحاب القرافة يضايقوا الساكن فيها .. لما يموت لهم ميت وييجوا يزوروه ويطولوا فى القعاد ..

وياعم نصر عبد العزيز محمود .. عجبى ..!!

ومدد .. يانفيسة العيون ..

فى خارج الحارة .. وبعد أن أذن المغرب للصلاة كان ميدان السيدة نفيسة قد امتلأ بالعربات الفاخرة والبسيطة وبالناس من كل صنف ولون .. وكان أصحاب العربات والمترجلين كلهم فى داخل المسجد الكريم ..

وأحسست نسمة ندية من بيت آل النبى بكل طهره ونقائه تهل على وأنا أودع المكان ..

ومدد ياست .. مدد ياطاهرة .. مدد ..!!

....

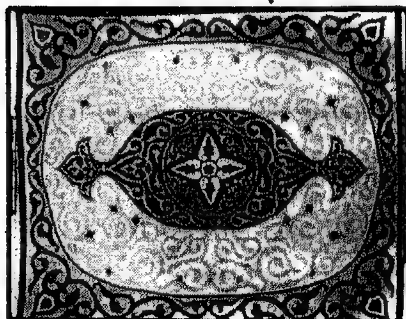
....

....

....

....

الخيمية



عاش بها ٣٠٠ خيمى أصبحوا خمسة الآن .

هنا فرشوا مقبرة توت عنخ آمون .. وصدروها إلى أمريكا ..

الخيامية متعة حقيقية للعين .. والروح .. والقلب الخلى ..

فى الخيامية أصابع فنانة تعزف بالألوان أغنية شجية كلها طرب .. وتقاسيم عجب ..

وليس أعجب من الخيامية الآن فى العالم كله .. ففى كل العالم ليس هناك إلا خيامية واحدة .. ولا يصنع ما يصنعون فى الخيامية أحد ..

الأصابع فى الخيامية فنانة .. والقماش وتر عود شرقى أصيل .. وما تخرجه الخيامية للناس أنغام بالجمال صراحة ..

العــز عمــره .. ألــف عـام ..

من تحت بوابة المتولى فى آخر شارع الغورية .

وابتداء من مسجد الصالح طلائع الأثرى الكبير تبدأ الخيامية ..

شارع ضيق كله مسقوف .. وكله أيضا قديم جدا قدم التاريخ الذى يحكى أن الخيامية عمرها من عمر الدولة الفاطمية ودخول المعز القاهرة لأول مرة أى منذ أكثر من ألف عام ..

الشارع كله ليس فيه للعمارة الحديثة مكان .. وإنما كله بيوت أثرية بعضها تهدم والبعض قائم .. لكن هيكل الشارع كله مازال قائما متماسكا بضفتيه اللتين تكثر فيهما المشربيات الخشبية القديمة .. وسقفه الذى يمنع الحر فى الصيف ويحفظ الدفء فى الشتاء ..

وفى إحدى حاراته وهى حارة « قصبة رضوان » يكمن العز القديم كله لهذا الشارع العجيب .. ففى قصبة رضوان آخر من بقى من دلائل العز ..

خمسة فقط من خيامية المنطقة الذين كانوا عام ١٩٣٥ ثلاثمائة على وجه التحديد ..

دهشت عندما وجدت الحارة الضيقة التى تعلو فيها مياه المجارى ممتلئة

بأعداد كبيرة من السائحين جميعهم يقفون فى صمت خاشع أمام الدكاكين الخمسة وبين الحين والحين تنطلق « أوه » بمختلف اللغات تعبيرا عن العجب والإعجاب .. وعلى الكنبة الاستامبولى المغطاة بالحرام البلدى المتعدد الألوان يجلس رجل فى أواسط العمر أو اواخره والإبرة فى يده تصنع عجبا من الفن على القماش ..

الفــن بالفطــرة فقــط

داخل الدكاكين الضيقة رأيت فنا رفيعا بجميع الألوان ..

فى أول دكان تقدمت لأتحدث مع الشيخ الوقور الذى كان ينقش بأصابعه وبالإبرة على القماش السميك نقوشا بديعة بمختلف الألوان من خلال قصاصات أقمشة من كل لون ..

منذ خمسين سنة والحاج حنفى محمد ابراهيم فى نفس هذا الدكان الصغير يعمل بيديه وبإبرته على القماش .. يطرز القماش بمختلف الألوان ويخرج تحفا حقيقية من صنع يديه ..

أحسست وأنا أجول بعينى فى الدكان المتواضع الصغير أن الحروف والكلمات قد تقصر فى إعطاء الوصف الحقيقى لما أرى .. فلابد من أن تحتوى العين ذاتها كل هذا الجمال لتعطيه قيمته الحقيقية ..

كان الدكان ممتلئا بمربعات ومستطيلات من القماش المشغول بنقوش إسلامية زخرفية فى تناسق ودقة تامة وبمختلف الألوان .. وعلى بعض الحوائط قطع أخرى تمثل مشاهد من الحياة الفرعونية القديمة كلها أيضا بقطع القماش ..

الصور الفرعونية بالذات حية متحركة والحركة فيها منضبطة تماما .. فالساق مثلا متناسقة تماما مع باقى الجسم وحركة اليدين فى مكانها تماما وكأنها قد رسمت بيد فنان دارس للتشريح ولجسم الإنسان .. لكنها .. كانت ويا لعجب ما سمعت كلها من رسم وتصميم وتنفيذ الحاج حنفى الذى لا يعرف لا القراءة ولا الكتابة ولا الرسم من قبل بطبيعة الحال ..

لكنها مصر .. مصر المليئة بالأسرار .. !!

الحاج حنفى « خيمى» وهذا هو إسم كل من يصنع هذا الجمال أبا عن

جد .. بدأ فى الصنعة وعمره ست سنوات ..

- قال : متربى فى الشارع ده .. وروحى فى الشارع ده .. !! أصل الصنعة دى ولا مؤاخذة غيه ونا غاوى .. !!
- مفيش حاجة هنا تتعمل أبدا على الماكينة .. كله باليد وده السبب فى غلاوتها .. لكن يا خسارة الصنعة قربت تنقرض من الحتة ومن مصر كلها .. اللى بيموت منا ما بيطلعش غيره .. وما فيش حد من الصغيرين عايز يتعلم .. !!
- عددنا حوالى ٤٠ خيمى فى المنطقة كلها .. هنا فى الشارع خمسة والباقى ما يخرجوش عن حدود الدرب الأحمر ..

سألته .. كيف يبدأ الخيمى الصغير فى الدخول إلى عالم الألوان هذا ؟؟ ..

- قال : الغلام يبتدى الأول فى الترك .. الترك ده عبارة عن قماش الشوادر والصواوين .. حتة قماش خمسة متر ونص فى ثلاثة إلا ربع .. يبتدى الصبى يتعلم فيها عشان مساحتها كبيرة وشغلها كتير لو إيده إتهزت أو حودت بالإبرة غلط ما يبانش فى الشغل الكتير ..
- الترك ده ثابت أشكاله فى كل مكان .. هنا زى اسكندرية .. زى أسوان .. شغل زمان يعنى ..
- من خمسين سنة كانت حتة الترك تاخد شغل شهر وتتباع باتنين وعشرين جنيه .. النهاردة تاخد برضه شهر وتتباع بميت جنيه .. ليه بقى ..؟ الإيد الشغالة بقت قليلة .. والصنايعى مفيش ..
- أغلب شغلنا فى الترك لمحلات الفراشة .. طول عمرنا بنخدمهم .. وشغلنا غطى قبلى وبحرى لكن ..

وهنا اكتسى صوت عم حنفى بكلالة من الأسى وهو يقول :

- الزمن ده بقى زمن التقليد .. الفراشين دلوقت إخترعوا الترك المطبوع بنفس النقشة ونفس الألوان ويأجروه زيه .. زى شغل الإيد تمام .. نفس الثمن والزبون يتغش فيه ..
- لكن أقولك إيه .. أنا مش عشان شغلى .. أنا قلبى على الناس .. أحب أقول

إن الترك التقليد مجهز بالبنزين والجاز .. أى شرارة تطير فى الصوان تطيره ويبقى فى خبر كان ..

- تصدق أنا سمعت عن صوان اتحرق كله بالشكل ده أصل كان من القماش المطبوع .. !! ..

حاولت أن أغير مجرى الحديث لكن عم حنفى كان تأثره شديدا من « اختراع » الفراشين « الخبيث » الذين يحاولون حرمان الزبون من التمتع بالفن الأصيل كلما أصابته مصيبة وتحتم عليه أن يقيم « صوان » ..

- إستطرد عم حنفى منفعلا .. الواحد أحسن يدفع قرش زيادة ويعمل الشيء بالأصول .. مش كل يوم الواحد بيعمل « صوان » .. ثم إن الترك شغل اليد يعيش كتير .. يعيش ٢٥ سنة .. لكن المطبوع مرة واتنين فى الشمس تروح ألوانه ويبهت .. !!

لمن تبيع يا عم حنفى .. ؟؟

- أبيع لتجار خان الخليلى والفراشين والسياح ..
- تجار خان الخليلى ياخدوا الشغل الفرعونى .. ياخد الختة زى دى بستة جنيه .. يبيعها بعشرة جنيه .. معذور .. أمال إيه .. عنده مظاهر ومحل وعربية وبيصرف عليها .. والسياح غاويين الشغل العربى الإسلامى ويفضلوا يتأملوا فيه .. واحنا بنشتغل كتير .. لكن بقى فيهم خصلة حلوة .. يبصوا بالعين لكن ما يلمسوش القماش هما اللى بيخافوا الشغل يتوسخ ..

عم حنفى يذكر أيضا بكل فخر أنه أمضى شهرا كاملا يدرس لبعض مدرسى كلية الفنون الجميلة كيف يزخرفون القماش بالإبرة والخيط وكانوا جميعا الله يمسيهم بالخير يحترمونى اخرّ احترام ويجلسوه ساعة الدرس على ترابيزة عالية عن الجميع .. !!

حكايـــة رضـــوان بيـه

أنتزع نفسى انتزاعا من دكان عم حنفى ابراهيم لأستأنف الجولة ..

الخيامية إسم الشارع الأثرى الطويل والجزء الذى يحتوى صناع الخيم منه

هو حارة « قصبة رضوان » أو قصبة الأمير رضوان بيك مملوك الملك الناصر قلاوون وعرفت الحارة بهذا الإسم بعد بناء الأمير « قصبة » أى وكالته المعدة لبيع المراكيب اليدوية عام ١٠٦٠ هجرية .. !!

أما البناء الكبير الذى يمتد بطول الحارة وتطل مشربياته عليها فهى الدار « القردمية » التى بناها الأمير الجائى الناصرى مملوك الناصر قلاوون ثم سكنها من بعده الأمير جمال الدين محمود بن على الاستادار ثم آلت أخيرا إلى رضوان بك الذى سميت الحارة باسمه « أى كلهم مماليك فى مماليك » والدار مازالت واجهتها حتى الآن سليمة وجزؤها الأسفل كله دكاكين صغيرة أما داخلها فمتهدم ..

فجأة إنطفأ النور فى الحارة كلها .. وبدت بوابة المتولى فى الظلام أضخم مما هى حقيقة وهى تلقى بظلها من بعيد فى الضوء الضئيل .. وفى خمسة دكاكين فى الحارة هى دكاكين « الخيمية » ظهرت على الفور الكلوبات القوية الضوء وعادت الظهور إلى الانحناء والإبرة تروح وتجيىء على القماش فالعمل لا يجب أن يتوقف لأى سبب من الأسباب ..

الأوزى فنـــان .. عالـــمى ..

وفى داخل دكان آخر صغير كان صلاح الأوزى وهذا لقبه يواصل العمل تحت سقف من القماش المطرز كله بالألوان ..

تكلم الأوزى عن فهم عميق لما تقدمه يداه .. قال ..

- أنا مش فنان شعبى مصرى وبس .. أنا فنان عالمى .. !!
- مفيش حد فى العالم كله بيعمل اللى أنا باعمله .. !! عشان كده زعلان من الإهمال ..
- هل أنا مش زى متقال قناوى متقال اللى سافر برة ولف العالم .. ؟؟ ..
- أنا مش باقول حاجة .. هوه برضه فنان ع العين والراس لكن بشرفى .. أنا لو رحت فى أى معرض فى الخارج بالشغل اللى باعمله ده . ادخل عمله صعبة للبلد بالألافات .. !!
- هموم الصنعة كتير .. وما فيش حد واخد باله إن كنز من كنوز مصر

حايضيع ويندفن فى التراب ..

- فين اهتمام الدولة وفين تدريب الصغار ..؟؟ والحقونا عشان الفن ده ما ينتهيش .. !!
- كان فيه مشروع من سنين فى قصر ثقافة الغورى لتدريب الأولاد على شغل الخيمية وبعدين .. انتهى تمام .. أنا مستعد للتدريب وغيرى كمان .. لكن مفيش اهتمام ..
- أنا أغلب شغلى حاليا للخواجات .. مسز براون فى المعادى غاوية الشغل الإسلامى .. بيتها كله مخدات وستاير ومفارش من تحت إيدى هنا .. وأمريكان من أمريكا يبعتوا ياخذوا شغلى من هنا ويبعتوا لى زبائن كتير .. وحاليا باعمل سقف من القماش المطرز إسلامى حايروح سويسرا فى مطعم هناك ..
- أحلى حاجة عملتها .. مقبرة توت عنخ آمون كاملة بالقماش وبالرسومات طبق الأصل .. طلبها واحد أمريكانى وفرش بيها أوده بحالها .. فصلتها له على مقاس الأودة تمام اللى يدخلها كأنه تمام فى مقبرة توت .. !! ..

أطلعنى صلاح الأوزى على ألبوم كامل مصور به مقبرة توت عنخ آمون كما نقشها بالقماش وأشياء أخرى كثيرة تحف حقيقية من صنع يديه .. ومع كل صورة كنت أهتف بصدق .. « تسلم إيديك » .. !! ..

فى مواجهة دكان الأوزى يقع دكان عم سيد سيد الضو .

وكان ضوء الكلوب القوى يكشف عن آيات من جمال صنع اليد على الحوائط فى لوحات كبيرة بديعة لرمسيس الثانى فى إحدى مواقعه الحربية وحوله القواد فى المركبات وفوق الخيل إلى جانب لوحات بديعة من النقوش الإسلامية الرائعة التى لن تستطيع الكلمات أن تصفها وإنما يجب رؤيتها رؤية العين ..

الحسـن فى الدنيـا ألـوان ..

على الكنبة الاستامبولى كان عم سيد يتربع يعمل بيديه وبالإبرة فى صنع مفرش سرير محلى كله بالنقوش الإسلامية بألوان كثيرة ..

شيء وحيد كان يندهش له عقلى طيلة وجودى فى قصبة رضوان بيك بالخيامية .. ومو .. كيف يتأتى لشخص لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يتقن الرسم بهذا الأسلوب الذى رأيته فى اللوحات الفرعونية بتفاصيلها ..؟ والنقش العربى الإسلامى بخطوطه الكثيرة المتشابكة .. كيف ..؟؟ كيف لا يشرد خط .. أو تنحرف زاوية ..؟؟ .

أخرج عم سيد الضو من الأكياس كنوزه المتمثلة فى لوحات عديدة وأشكال شتى ..

عم سيد عاصد أيام عز الخيامية أيام كان ثمن الكيلو من قماش قلع المركب بخمسين قرشا والذى بلغ اليوم ثمنه ١٨٠ قرشا .. وكان متر القماش الجاوى الأحمر ستة قروش ويبلغ ثمن متر التيل الأحمر الآن ٥٥ قرشا .. ويشترى الخيمية كل هذه المواد من السوق وبأسعارها العادية مثلهم كأى فرد آخر فليس لهم حصص من الأقمشة تصرف لهم كمواد للصنعة كبقية الحرفيين ..

● قال عم سيد إن السياح يقبلون على القطع المنقوشة بالنقوش الإسلامية .. أما تجار خان الخليلى فيفضلون النقوش الفرعونية .. كذلك تجار الأقصر وأسوان .. وعموما كما قال فالشغل فى الإسلامى أصعب من الشغل الفرعونى ..

لا يستطيع عم سيد أن يتوقف عن العمل أبدا الآن الإيد تصدأ من قلة الشغل كما يقول لذلك يحدث أحيانا أن يتكوم الشغل فيضطر إلى الذهاب بنفسه إلى خان الخليلى لعرضه على التجار هناك بدلا من انتظارهم أن يأتوا هم للشراء وطبعا بين الوضعين فرق كبير ..

بجانب دكان عم سيد دكان آخر اثنين من الخيمية الشبان وهما أصغر من فى الحارة من الخيمية سنا ..

قال حسن محمود زكى وسنه ثلاثون عاما ..

● والدى ودانى المدرسة مانفعتش .. دخلنى الصنعة غويتها .. حاكم المهنة دى بالذات ما تصحش إلا مع اللى غاويها روحى اتعلقت بيها .. ولو قالوا لى

دلوقت تاخد متين جنيه فى الشهر وتشتغل بيه مدير أقول لأ .. ولا دقيقة بعيد عن الإبرة والألوان ..

- أنا شخصيا باحس إنى بنى آدم محترم أوى لما السياح تقف تتفرج عليا ونا باشتغل .. باحس إنى باملك حاجة ما يطولوهاش .. دى نعمة كبيرة ..
- أنا عندى كل أسرار الصنعة مع أنى صغير .. أصل احنا عيله كلها خيمية .. أبويا وعمى .. وأخوالى ..
- الترك بتاع الصواوين ده بيتشغل على قلع مركب ويتغزل فى مصنع سمنود ويتباع بالكيلو ..
- غايظنى أوى الطبع على القماش .. لكن أرجع وأقول إحنا برضه السبب فى بدعة المطبوع ده لإننا بقينا قلة وما فيش حد جديد بيتعلم .. طيب وبعدين .. لما نموت وننتهى والسياح ييجوا يسألوا ع الخيمية الدولة حاتقولهم إيه .. ؟؟ راحوا فين .. ؟؟
- على فكرة أمانة عليكم تبقوا تغيروا إسم الشارع بعد ما ننتهى .. !!
- ياترى حاتسموه من بعدنا إيه .. ؟؟ ..

إنقـــذوا الخياميـــــة

كان النور الذى انقطع طويلا قد عاد الآن وأنا أتجه من تحت المشربيات الخشبية متجهة إلى باب الشارع حيث بوابة المتولى ..

أحسست إحساسا قويا وأنا أغادر الخيامية أننى أريد أن أطلق بأعلى صوتى هذا النداء ..

أرجوكم .. إنقذوا الخيامية وأهلها قبل أن تندثر وتموت إنها كنز لا يعوض ولو ضاعت وانتهى أهلها فسنبكى كثيرا .. كثيرا .. ولن يفيد وقتها البكاء ..

....

....

....

....

....

حــــارة الصـــــالحية



حارة الرضا والقناعة والحلوة والمرة ..
الصالحية تحلم بالبازار ..

البازار هو حلم هذه الحارة الدائم ..!!

فحارة الصالحية التى تستظل من الشمس تحت مبخرة الصالح نجم الدين أيوب وتجاور جامعه الكبير .. وتقترب كثيرا من مستشفى الناصر قلاوون تحلم ليلها ونهارها وفى كل لحظة بالبازار ..

والبازاز هو تعبير أهل الصنعة عن المحل الخاص الذى يمثل نهاية الكفاح فى العمل طيلة سنوات الشباب ليصل الشخص منهم فى النهاية إلى باب البازار حيث يتربع أمامه على دكة خشبية فوقها شلتة مكسوه بقماش الشاهى .. يشد أنفاسا من شيشة عجمى .. وينتظر على وش الصبح أفواج السياح تهل فى طرقات خان الخليلى لتبدأ مع قدومها لعبة البيع والشراء .. والثراء ..!!

منتهى أمل كل شخص فى حارة سوق النحاس القديم هذه أن يكون له يوما ما بازار .. كبير أو صغير لا يهم مثل من سبقوهم إلى العز والهنا من تجار خان الخليلى جيرانهم القريبين جدا فى الحى ..

فى رحاب الحسين يجتمع هذان الفرعان لعائلة واحدة ..

أحدهما .. الفرع الغنى السيد .. وهو خان الخليلى بأزقته وممراته ..

والآخر هو فرع لنفس العائلة لكنه وكما فى أى عائلة أخرى .. هو الفرع الكادح الفقير .. وهو هنا حارة الصالحية .. خط بين القصرين ..

وبينما تتضوع أروقة خان الخليلى بنسائم العز والغنى وعطر الثراء .. تفوح بين جنبات حارة الصالحية رائحة العرق .. والكد .. والعمل المضنى المستمر ..

لكن العلاقة مع ذلك بين الفرعين قوية متينة لا تزعزعها الأيام فكلا الطرفين للآخر فى أشد الاحتياج ولا غنى لأحدهما عن الآخر على الإطلاق ..!!

ولكى يعرف المرء قيمة ما تخرجه الصالحية من فنون يجب أن يجتاز الطريق

إليها مخترقا خان الخليلى ليرى نفس الأشياء التى تبدعها الصالحية بعد أن خرجت من الحارة الضيقة إلى عز الفاترينات الزجاج المبطنة بالقطيفة فى بازارات خان الخليلى .

مبخـرة الصـالح نجـم الديـن ..

فى نهاية خان الخليلى وبجوار باب الصاغة القديم نجد مباشرة باب الصالحية العظيم .

هو باب حقيقى يعلوه بناء ضخم كالقوس يمر الداخل إلى الحارة من تحته وتعلوه مأذنة كمأذنة الجامع شكلا غير أنها فى الحقيقة « مبخرة » هائلة الحجم بناها الصالح نجم الدين أيوب فى زمانه أى فى عام ٦٤١ هجرية لتنشر البخور والطيب فى جنبات الحى العريق فى ليالى الخميس ونهار كل جمعة .. وكان لها موظف خاص مختص فقط بإشعال البخور فى المبخرة الهائلة والمحافظة عليه مشتعلا حتى تنقضى صلاة الجمعة من كل أسبوع ..

بدأت رحلتى من ميدان الحسين قاصدة شارع النحاسين أو خط بين القصرين كما كان اسمه زمان الفاطميين .. وطوال مرورى فى خان الخليلى كان تحف النحاس الأصفر والأحمر والمطعم بالفضة تخطف البصر فى البازارات الفخمة الكثيرة العدد .. تماما كما يخطف الأبصار سناء الذهب الكثير الذى تمتلىء به واجهات البازارات ..

كان للنحاس فى خان الخليلى رونقا وطلاوة تخطف القلب قبل العين ..

الكنـــوز .. والمجـــارى ..

إنتهى الخان إلى باب الصاغة وبدأت سيرى قاصدة سوق النحاس القديم بجوار مستشفى قلاوون لكن بعد خطوات قليلة إسترعت المبخرة الهائلة الحجم نظرى فاقتربت لأتمعن فيها وإذا ما وراءها يكشف عن حارة صغيرة ضيقة وعلى أرضها المتربة الممتلئة بمياه المجارى فى بعض أجزاؤها تتناثر كنوز خان الخليلى النحاسية التى رأيتها منذ برهة معززة مكرمة وراء زجاج الفترينات .

تقدمت خطوات .. وكل خطوة كانت تقودنى إلى مزيد من الأوانى النحاسية الثمينة المشغولة بدقة والمحفورة بمهارة بالغة وكلها على الأرض ملقاة ..

وتحت مبخرة الصالح نجم الدين أيوب كانت تتصاعد روائح المكرونة بالشطة التى وقف يفرغها فى أطباق كلها أيضا من نحاس بائع عجوز كان يبدو وكأنه يشبه كثيرا للجدار الذى وقف مستندا إليه ..

منذ ٤٥ عاما وعم ابراهيم جودة يسكن حارة الصالحية ..

ومنذ ٤٥ عاما أيضا وهو يصنع المكرونة ويبيعها تحت المبخرة على باب الحارة .

قال .. من يوم ماجيت الحارة وهى تشتغل فى النحاس .. الصنايعية يجيبوا النحاس القديم ويعملوا منه أباريق تحف .. وينقشوا الصوانى تخرج من تحت إيديهم سبحانك يا ربى حاتتكلم لكن تقولى إيه فى الحظ .. هنا ناس مكتوب عليهم الشقا وخطوتين وتلاقى الناس اللى مكتوب لهم الهنا هناك فى خان الخليلى .. وسبحان مقسم الأرزاق ..

- هنا فى الصالحية يشقوا ويتعبوا واللى يقبض ويتنعم مش من هنا ..
- الحارة طول عمرها هادية مالهاش حس خالص غير صوت الدق على النحاس .. لكن عمر ما حد اتخانق ولا علا صوته .. ولا قامت فى يوم عركة .. مش فاضيين .. الدنيا طحناهم ..

من عربة المكرونة ربى عم ابراهيم ٦ صبيان و٧ بنات كلهم أحسن من بعض كما قال .. الكبيرة ناظرة فى الزقازيق وجوزها عميد فى الجيش .. وعندى محاسبين .. ومدرسين وميكانيكى .. وواحدة بس مش متعلمة وربة بيت وحنان آخر العنقود خدت دبلوم تجارة ومستنية التعيين ..!!

ومازال عم ابراهيم جودة فى سن السبعين يبيع المكرونة على باب حارة الصالحية .. والشقا والهنا له ناس .. وناس ..!!

الـورد جميـل ..

أترك مبخرة الصالح نجم الدين أيوب وأتقدم داخل الحارة الضيقة أتحاشى أن أصطدم بالأوانى النحاسية الكبيرة التى تسد الطريق .. وألمح شابا منهمكا فى الدق وزخرفة آنية نحاسية كبيرة لوضع أصيص الورد بداخلها .. وهو يفتح فمه ويغلقه كأنه يغنى .. لكننى لا أسمع حرفا واحدا من أصوات الضجة النحاسية التى تسود الحارة ..

عندما توقفت أمامه توقف عن الدق وعن الغناء وقدم نفسه .

مجدى حسن ...مجدى يعمل فى النحاس لحساب الورد فقط فهو يصنع قصارى الزرع النحاسية الضخمة والمتوسطة لتجار خان الخليلى ..

هذا عن العمل أما هوايته فهى ترميم النحاس القديم .. يعشق مجدى الذى حصل على الثانوية العامة أن يعيد الحياة إلى النحاس القديم ..

عندما تقع فى يده صينية قديمة أو إبريق مكسور يبدأ معه رحلة تمتعه هو شخصيا بإعادة نقش الصينية من جديد ..

وددت وأنا أقف داخل الدكان المتواضع الصغير لو ناديت على الدنيا بأسرها لتأتى وتشاهد هذا العامل المصرى العظيم الذى يصنع بأصابعه فقط كل هذا الجمال ..

كانت الآنية النحاسية المنقوشة بدقة وكأن الورود فيها تتنفس الهواء تملأ المكان من حولنا ومجدى حسن يشرح لى رحلة لوح النحاس منذ أن يشتريه مساحة ٧٠ × ١٦٠ سم بمبلغ عشرة جنيهات حتى يستوى تحفة جميلة تروق لعين السائح أو تذهب لمدخل أحد الفنادق الكبيرة ..

فى تواضع قال .. النحاس الأحمر يا هانم أغلى من النحاس الأصفر .. الأحمر نحاس نقى والأصفر ينضاف له زنك ورصاص ومواد تانية ..

- كل قصارى الزرع دى يدوى .. الآلة ما تتدخلش فيها على الإطلاق .. التشكيل بإيدى .. والحفر بإيدى .. والتطعيم بالفصوص والفضة بإيدى برضه ..

- قصرية الزرع تتكلف خام ٥ جنيه نحاس وبعدين أنقشها وأبيعها للتاجر الكبير فى الخان بثمانية جنيه .. يعنى أجرة إيدى ٣ جنيه ..
- تاجر الخان يبيعها بخمستاشر جنيه .. وفى ساعات الرواقة بأعمل زهريات ورد نحاس منقوش بارز ده بقى الشغل المخصوص .. وده ممكن التاجر فى الخان يبيع الواحدة لغاية ٢٠٠ جنيه .. لكن أنا يحاسبنى على وزن النحاس .. الكيلو ٢ جنيه ونص ويدينى أجرة إيدى ..

تمتمت بصوت خفيض بكلمات تتناول الظلم .. والعدل فرد مجدى قائلا :

● ما فيش ظلم ولا حاجة .. أصل التاجر الكبير بيشتغل معايا ع الحلوة والمرة .. لأنه بيشغلنى باستمرار فى الحاجات البسيطة .. ولما تيجى الشغلة الكبيرة زى مقاولة لوكاندة أو سراية كبيرة يشغلنى فيها أنا وغيرى لكن بالله عليكى مين حاييجى لغاية الصالحية هنا فى المجارى والتراب عشان يشترى بالرخيص .. ؟؟ ..

اختتم مجدى حديثه معى بالأمنية التى تكررت على ألسنة أهل الحارة طول اليوم وهى أنه يحلم بيوم قد يأتى بعد ١٠ أو ١٢ سنة يجلس فيه أمام البازار الخاص به ليضمن لنجلا وتامر تعليما عاليا فى الجامعة .

المــدارس الصــالحية ..

الحارة كلها عبارة عن سور عظيم بعض أجزاءه مقام والبعض متهدم .. وبيوت أثرية على طول السور يسكنها الان صانعى النحاس وتنم كلها عن طراز واحد يجمعها جميعا ..

فى كتب التاريخ قيل أن هذه كانت المدارس الصالحية التى أنشأها الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤١ هـ ورتب فيها دروسا لفقهاء المذاهب الأربعة وأنشأ المبانى خلف هذه المدارس وجعل للمدارس أحكار هذه الأبنية .

وانقضى زمن الصالح أيوب .. وما بقى من بناء المدارس بقى .. وما راح .. راح وآل ما تبقى إلى مصلحة الآثار التى تؤجرها مساكن ودكاكين ووكالات بأجرة تبدأ من ٣٤ قرشا حتى خمسة جنيهات ..

الصــلاة يا مؤمنيــن ..

فى الحارة نحاسون كثيرون بلا دكاكين يجلسون على أرض الحارة مسندين ظهورهم إلى الحائط والقادوم والنحاس بين أيديهم .. ويبدون فى عالم آخر رغم الضجة الهائلة الناتجة عن طرق النحاس الذى لا ينقطع .. وبجانب كل منهم عدة شاى بإبريق صغير والسبرتاية مشتعلة على الدوام .. فالشاى الثقيل هو الرفيق المخلص ليساعد على التفنن وروقان البال ..



الصالحة حارة الفن الجميل



فى الصالحية .. « إيدين تتلف فى حرير »

فنجأة صمتت الحارة تماما وكفت المطارق عن دق النحاس وتلفت حولى أبحث عن سر هذا الصمت المفاجيء فوجدت الجميع فى أماكنهم وصوت الآذان يسرى فى الحارة قادما من مأذنة جامع قلاوون .. !!

* * *

. قبل أن أتجه إلى من يجلسون على الأرض لفت نظرى باب كبير يكشف عن مساحة واسعة لا يمكن أن نطلق عليها وصف المحل وإنما هى وكالة كبيرة من وكالات زمان .. وعلى مدى البصر يلمع فى جنباتها النحاس بنوعيه الأحمر والأصفر من كل ما يخطر على البال أن يصنع منه .. من الحلل والأوعية الكبيرة والمصافى إلى جانب الأباريق والصوانى وأطباق الزينة والنحاس المشغول ..

قادتنى خطواتى داخل الوكالة التى كانت معتمة لا يضيئها غير ضوء النهار المتسلل إليها من الخارج مما يضاعف من لمعان النحاس .

وتقدم صاحبها ليرحب بى فى شطارة التجار متسائلا نحاس عروسة .. ولا فردانى .. ولا أنتيكة ..؟؟

لا هذا ولا ذاك .. أبحث يا حاج عما وراء أكوام النحاس هذه من قصص وحكايات ..

تخاذل الحاج قليلا فى ترحيبه بى عندما تبين أنى لست زبونة ثم بدأ يحكى ..

- الوكالة دى عمرها ٨٠ سنة عن ابويا وجدى ..
- طول عمرنا نحاسين .. نجيب النحاس من اسكندرية حجر خام ونشتغل فيه كل الأصناف اللى شايفاها هنا ..
- كل اللى انت شايفاه عبارة عن كل شيء يصنع من النحاس حتى صاجات الرقص الشرق ..

واستطرد الحاج محمد موسى صاحب الوكالة يقول :

- أنا حضرت رطل النحاس باربعة صاغ دلوقت الكيلو باتنين جنيه ونص يعنى تقريبا الرطل بجنيه .. والطن بألفين جنيه .. بعد التصنيع ينقص ١٠٪.
- النحاس لسه ملك السوق .. ما اعرفش الألومونيوم يكسبه ليه بقى ..؟؟..

النحاس عمره طويل .. حتى لما يتكهن يتباع بفلوس لكن الألومونيوم يعيش بالكتير ست شهوز وبعدين مالوش تمن ..

- الشغل بخير والحمد لله وعرايس الأرياف مازالوا مخلصين للنحاس .. العروسة المتوسطة تتجهز بحوالى ١٢٠ جنيه نحاس .. تاخد طشت غسيل .. وحلة غسيل و٧ حلل « وأروانة » .. وصوانى فرن وصينية عشا .. أما العروسة بنت العمدة فنحاسها يطلع بمتين جنيه ..!!
- عشت فى عالم النحاس لما شفت السايح ياخد قدرة الفول النحاس الأحمر بثمانين جنيه يعملها فازة وتحفة فى البيت ..!!

كان الحاج محمد موسى يبدو راضيا مطمئنا مما يدل على أن النحاس مازال سيد الموقف وأمير السوق ..

الذهـــب .. والفضـــة

بجوار الوكالة دكان أنيق فيه إلى جانب النحاس أشياء أخرى تجذب الانتباه .. حلىّ من الفضة .. ومعظم منتجات خان الخليلى .. أى أنه بازار متواضع فى حارة الصالحية .. صاحبه محمد عباس بدر قال ..

- أتعامل مع كل تجار خان الخليلى اللى بيتعاملوا فى الفضة أصنع هنا .. وأوزع جمله ..

الأرقام التى قالها عم بدر بعد ذلك كانت عجبا .

- جرام الفضة أصبح الآن سعر ٢٦ قرشا ده تمن السوق ما نقدرش نقول فيه حاجة .. لكن مصنعية الجرام فى الشغل الثقيل الأساور والتعاليق ٥ صاغ وإذا كان الشغل خفيف مصنعية الجرام خمسة تعريفة .
- الجرام بعدما يوصل للتاجر الكبير يتباع سعر ٦٠ قرش كده رضا .. مين ممكن يدرى بينا أو ييجى لحدنا وسط المجارى دى والضجة اللى ما تنطاق ..

مازال الظل فى حارة الصالحية يخفى الكثير .. ففى داخل محل فضيات عمر بدر حجرة أخرى صغيرة بها عامل وأمامه منضدة صغيرة هو محمد موسى بركه الذى يعمل نقاش ذهب ..

يبعث إليه الصياغ الكبار فى الصاغة بالأساور الذهب لينقشها ويلمعها ..

ينقش محمد بركه الغويشة الذهب بقرشين فقط وحتى تصل هذه الغويشة

إلى يد الزبون تكون قد تكلفت مصنعية ما قيمته جنيه واحد فقط بعد أن مرت على التشكيل والتعريج والنقش والتلميع ويتقاضى فيها الصائغ عند البيع ريال للجرام مصنعية إذا كانت عيار ٢١ وثلاثين وأربعين جنيها فى القطعة عيار ١٨ إذا كانت عرض حوالى النصف سنتيمتر وبالنسبة لعيار ٢١ تكون مصنعية الإسورة التى تزيد مثلا خمسين جراما عشرة جنيهات يتقاضى منها محمد موسى بركة قرشين صاغ .. وعجبى .. !!

التاجر الكبير والصانع الصغير

مازالت الأرقام المذهلة تلعب دور البطولة فى الحارة الضيقة وأنا أتجه متوغلة فيها والدق له رنين صداح فهو على النحاس والكل الآن أمام الدكاكين وليسوا بداخلها ..

أمام كهل يناهز الستين كان يواصل الدق على النحاس بحماس توقفت لأسمع من عزت محمود رأيه فى لعبة التاجر الكبير والصانع الصغير .:

قال عن اقتناع ..

- صحيح التاجر الكبير بيدينى مصنعية فى الحتة عشرة قروش لكن هو اللى بيملك الزبون .. تفتكرى مين من السياح حايكلف خاطره وييجى لغاية هنا طب .. ويعرف منين إن احنا موجودين ..؟؟
- كمان أنا ما ارضاش السايح ينزل يشوف الحتت اللى زى دى بمجاريها الطافحة وبيوتها الواقعة والخرابات برضه الخان قيمة :. ونضيف ..
- آخر حاجة عملتها جوز الزهريات الفضة دول .. إتكلفوا ستين جنيه .. ومصنعيتى ٣ جنيه واتباعوا عند التاجر الكبير فى الخان بحوالى ١٥٠ جنيه .
- أنا فى الصنعة من ٤٧ سنة .. ونا عندى ٦ سنين ونفسى اقعد على باب بازار وأستريح من الدق طول النهار .
- عندى أمل إن ابنى الكبير يدخل الهندسة ويريح أبوه .. ولو ربنا إدانى البازار ندر عليا أسميه ولو بعد عمر طويل بازار الصالح أيوب وفى قلب الخان بإذن الله ..

بعد الأوانى النحاسية الجميلة والأباريق الفضية والنحاس التى تخطف

الأبصار وقعت عيناى على جزء من الحارة كل ما فيه أكوام من كسر النحاس .. قطع صغيرة كأنها القصاقيص ولكن من النحاس ..

اقتربت من المكان الذى يشع حرارة عالية نتيجة للفرن المتوهج المشتعل على الدوام .. وتقدم منى صاحب المكان الذى تبين أنه مسبك لسبك النحاس .. وقال خليل الشبكشى صاحب المسبك ..

- ده أول مسبك فى الصالحية ومنطقة الجمالية كلها عمره ٨٠ سنة .. بيعمل إيه ..؟ بيشتغل ع القراضة يعنى مخلفات أشكال النحاس .. بقايا بوابير الجاز والنسر النحاسى للجيش والبوليس وتوكة الحزام .. كله بييجى هنا نشتريه من السوق بسعر ٨٢ قرش لنسبكها سبايك نحاس ونبيع السبيكة تانى بسعر الكيلو تسعين قرش .. نبيع للورش الصغيرة اللى بتعمل نسر الجيش وكنك القهوة وتوك النحاس ومالهاش دعوة بشغل الأنتيكة .. ده له ناس ..

مسـك الختـام :

كان مسك الختام فى الحارة الضيقة ما فاجأتنى رؤيته فى نهايتها ..

عشة صغيرة مبنية بألواح الخشب والصفيح وأمامها معرض كامل لكافة ما تحب العين أن تراه من أشغال النحاس الجميل الدقيق .. وعلى الأرض يجلس رجل فى حوالى الستين ينقش بدقة بالغة صينية كبيرة من الفضة المطعمة بالنحاس ..

طال تأملى للصينية الجميلة فى يده حتى رفع رأسه ليتكلم ..

عم محمود مصطفى نقاش الأنتيكات يعمل فى الصنعة منذ خمسين عاما .. علمه خاله الله يرحمه والذى ظل يترحم عليه طيلة الحديث .. وأنا أيضا ترحمت عليه ..

- كل تحف خان الخليلى أعملها هنا بإيدى .. مافيش حاجة تصعب عليا أبدا .. والصنايعى القره مايغلبش ..
- كليو النحاس يتكلف عليا إتنين جنيه ونص ياخده منى التاجر متصنع بمتين وستين .. الصينية تكلفنى ١٥ جنيها ياخدها التاجر بعشرين ويبيعها بأربعين ..

- طب اسمعى .. حاقولك سر .. ساعات استلقط صينية قديمة ومكسرة أتسوقها من سوق النحاس القديم تتصلح وتتوضب وأنقشها من جديد ياخدها منى تاجر خان الخليلى ويسيبها من غير تنضيف ومن غير تلميع على إنها قديمة ومن عهد فرعون والسائح يدفع فيها ميات جنيهات .. دى شطارة وسياحة .. أمال إيه ..؟؟
- الشيشة الأثرية اللى قصادك دى إتكلف عليا ٥٠ جنيه .. التاجر مش حايبعها أقل من ١٥٠ وزى بعضه يا ست .. أددى احنا كلنا مصريين وآهى فلوس داخل البلد :. عندى .. عندك .. زى بعضه .. دى أرزاق .. وهو الرزاق ..

* * *

لم ينقطع إحساسى بالعجب وأنا أكر عائدة إلى أول حارة الصالحية .. أمر من تحت المبخرة التى أنشأها فى زمانه الصالح نجم الدين أيوب خامس سلاطين دولة بنى أيوب والذى قال عنه المقريزى فى كتابه الكبير ..

عندما تولى ضبط الأمور وسيرها على نظام حسن ونظر فى عمارة أهل مصر .. ومن محاسن آثاره المدارس الصالحية بخط بين القصرين .. تولى عام ٦٣٧ هجرية وتوفى بالمنصورة عام ٦٤٧ وعمره أربعون عاما وكان زوجا لشجرة الدر ووالد لتوران شاه الذى تولى بعده فجاءت على يديه نهاية دولة بنى أيوب وبداية دولة المماليك البحرية ..

ورحم الله الصالح نجم الدين أيوب .

....
....
....
....
....

كتاب الجمهورية
يصــدر عن دار التحـرير للطبع والنشـر
رئيس مجـلس الإدارة
سـمير رجب
المشرف على التحـرير
فاروق فهمى

إمتياز الإعلانات	:	شركة الإعلانات المصرية ٥ شارع نجيب الريحانى ت : ٧٤٤١٦٦
التوزيع	:	شركة التوزيع المتحدة ١١ شارع قصر النيل ت : ٣٩٢٣٧٤٩
المراسلات	:	كتاب الجمهـورية ٢٤ شارع زكريا أحمد ت : ٧٥١٥١١

رقم الايداع ــ ١٩٨٩/٥٢٤٠